الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالبة: حجاج مروة

ميدان: لغة وأدب عربي

تخصص: أدب عربي قديم

القضايا النقدية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر

لضياء الدين ابن الأثير

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم والقب	الدرجة العلمية	الصفة
عبد القادر بن التواتي	أستاذ محاضر أ	رئيسا
بوفاتح عبدالعليم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
عبد القادر معمري	أستاذ محاضر ب	مناقشا

السنـة الجامعيـة

2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء و شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، على أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع و أعانني على ذلك بفضله و كرمه

و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين.

و الشكر بعد الله سبحانه و تعالى لأستاذي و معلمي الذي شرفني بمتابعة هذا العمل ماذا إلي يد العون، مسديا إلي الكثير من النصائح و التوجيهات، الأستاذ الدكتور بوفاتح عبد العليم و من خلاله فالشكر موصول لجميع الأساتذة بقسم اللغة و الأدب العربي

كما أهدي ثمرة نجاحي إلى العائلة الكريمة، وإلى إخواني وأخواتي وإلى جميع طلبة سنة ثانية ماستر آداب بجامعة الأغواط دفعة 2020 وأقول ألف مبروك للجميع على التخرج

مقدمـــــة

مقدمة

يعتبر جهد ابن الأثير نقطه هامه في تطور مراحل النقد والبلاغة العربية، وقد وصف الكثير بالعقم النقدي والجمود البلاغي من معاصريه، لكن هذه الشخصية مثلت لنا اتجاها بارزا وعلامة فارقة في تطور وبناء الروح النقدية والأسس البلاغية، لأن ابن الأثير أسهم في نضج وتطور الكثير من القضايا النقدية. ولذلك يعتبر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر منهجا في البحث وجهدا في الإضافة والبناء جعله نقطة التقاء بين الحركة البلاغية والنشاط النقدي. لأنه ضم وجمع الكثير من الآراء النقدية وصور أحسن تصوير للحركة العلمية في عصره، ووثق مجال النقد والحركة البلاغية بكل جرأة وموضوعية.

و يمكنني في هذه المقدمة الموجزة الإشارة إلى الأسباب التي دفعتني لأقتحم هذا الموضوع، و هي دوافع ذاتية و أخرى موضوعية.

أما الدوافع الذاتية فتتمثل في شغفي بهذا الموضوع أثناء دراستي الجامعية، بالإضافة إلى كونها تجربة أولى لي في البحث العلمي.

و أما الدوافع الموضوعية فهي محاولة تناول القضايا النقدية في أحد الكتب البلاغية الهامة، و أحاول أن أثير هذه الإشكالية التي ترتبط بالنقد ضمن طيات الكتب البلاغية، في محاولة مني لإثبات أن أقوال بعض الدارسين بأن هذه القضية لم تطرح بشكل غني و متسع، و إنما تناولها أصحابها بشكل ومضات خاطفة و في استعجال، و أقول بل هي بحوث جادة و ثرية. بحيث إن هذه القضايا تطرق المؤلف فيها إلى العديد من العناصر الأساسية التي تجعل مباحثها غنية.

و كانت خطة البحث كالتالي:

الفصل الأول و احتوى مبحثين:

تناولت في المبحث الأول: التعريف بابن الأثير و كتابه المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر و إبراز مكانته و قيمة جهوده بين البلاغيين.

كما تناولت في المبحث الثاني: بعض موضوعات الكتاب (البلاغية و النقدية...) من حيث ترتيبها و توزيعها.

كما احتوى هذا المبحث منهج ابن الأثير في تناول القضايا البلاغية و النقدية.

أما الفصل الثاني فتطرقت فيه إلى القضايا النقدية و البلاغية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، و قد قسمت الفصل إلى مبحثين:

مبحث أول و هو عبارة عن بعض القضايا البلاغية و التعريف بها و عرض ما قال فيها ابن الأثير مع بعض التعليق و الإستنتاج، هذا عن المبحث الأول.

أما عن المبحث الثاني فجئت فيه ببعض القضايا النقدية الخالصة، بحيث تم التعريف بكل قضية و عرض ما قال فيها ابن الأثير مع بعض التعليق و الإستنتاج.

أهمية الموضوع:

نجد هذا الموضوع من أهم الأسس البلاغية التي تناولها ابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، إذ يعد ابن الأثير مؤلفا متفردا بصفاته المتميزة وبأفكاره النقدية وتحليله البلاغي، مستفيدا ممن سبقه من أعلام اللغة والبلاغة، و أضاف ما رآه في مجال الكتابة وقواعدها وما يجب أن يعتمده من مصنفات البيان والبديع لإعطائها الجمالية الأسلوبية.

أما عن هدف هذا الموضوع فنستطيع تلخيصه فيما يلي:

- إبراز رؤيه ابن الأثير، وما تميز به.

- البحث عن وجوه الجدة والإبداع الأدبي من خلال هذه القضايا.

و منه تتضح لنا إشكالية البحث:

- ما هي أبرز القضايا النقدية والبلاغية التي تعرض لها ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر من خلال بحثنا هذا؟

و قد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي بوصفه النموذج المنهجي الأمثل في هذه القراءة.

و أخيرا يمكننا رصد بعض الصعوبات التي واجهتنا في هذا العمل:

واجهتني بعض العراقيل و الصعوبات التي لا يخلو منا أي بحث و لا ينجو منها أي باحث و التي حاولت التغلب عليها و تجاوزها أحيانا و تتمثل في الظروف التي حالت بيننا و بين المكتبات و التي تعتبر المورد الأساسي في مثل هذه البحوث، لكن استعانتي بالشبكة العنكبوتية ذللت لي بعض هذه الصعوبات.

أما الخاتمة فقد حاولت رصد بعض النتائج الهامة.

مدخـــــــــــــــل

مدخل

مازالت العلاقة بين النقد والبلاغة غير محددة تحديدا كافيا، وذلك نتيجة اضطراب منهج الدراسة الأدبية ومفهوم الأدب نفسه في دراساتنا الأدبية الى اليوم ، وإذا أردنا أن نحدد العلاقة بين الاثنين فعلينا أن نبدأ أولا بتحديد مفهوم النقد كما استقر عند المحدثين، وتحديد مفهوم البلاغة كما استقر عند القدماء. النقد ـ باختصار ـ هو دراسة العمل الأدبي دراسة تكشف عن قيمته من خلال خطوات ثلاث هي التحليل والتفسير والتقييم.

وبديهي ان هذه الدراسة لا يمكن ان تتم الا في ضوء نظرية عامة يستند اليها الناقد، وتحدد له ماهية العمل الأدبي ووظيفته وأدواته. وأساس اختلاف النقاد في التعامل مع العمل الأدبي، وبالتالي اختلافهم في تقييمه، راجع الى اختلاف النظرية التي يستندون اليها، بمعنى أن الناقد الذي يؤمن أن العمل الأدبي (محاكاة) سوف يبحث في العمل الأدبي عن أوجه الشبه التي تربط بين ذلك العمل والعالم الخارجي، أما الناقد الذي يؤمن بأن العمل الأدبي (تعبير) فسوف يبحث عن الانفعالات الداخلية التي يجسدها العمل الأدبي أو ينقلها الى المتلقي، والناقد الذي يؤمن أن العمل الأدبي (خلق) سوف يبحث عن العلاقات الجمالية الخالصة التي يتكون منها العمل الأدبي بغض النظر عن المبدع الذي أبدع ذلك العمل، أو المتلقي الذي يتلقاه، أو العالم الخارجي الذي جاء منه.

أما الناقد الذي يرى ان العمل الأدبي (انعكاس) ـ وهو المفهوم الجمالي للأدب الذي وصفته الماركسية اللينينية ـ فيبحث عن مدى ما يعكسه العمل الأدبي من صراع الطبقات، ومدى قدرة العمل الأدبي

على تطوير هذا الصراع لخير الطبقة صاحبة المصلحة الحقيقية. وبديهي ـ والأمر كذلك ـ أن ينقسم النقد الأدبي الى قسمين: أولهما نظري، يحدد العناصر الأساسية للنظرية التي يستند اليها الناقد، وثانيهما: عملي أو تطبيقي، يتولى مهمة تطبيق عناصر النظرية على عمل من الأعمال الأدبية، رواية أو مسرحية أو قصيدة.

فالعلاقة بين النقد النظري والنقد التطبيقي جدلية، يتأثر فيها كل طرف بقرينه بالقدر الذي يؤثر فيه. أما مفهوم البلاغة القديم فقد تحددت صورته بما جعل (البلاغة) تعني (المطابقة لمقتضى الحال)، وتنصب على الصياغة اللغوية التي يقوم بها البليغ. وهي بهذا المعنى تنقسم الى قسمين: أولهما بلاغة المتكلم، وهي ملكة تحتاج الى مران وممارسة وإلى قواعد تحدد هذه الممارسة. وثانيهما بلاغة الكلام، وهي القواعد التي تحدد هذه الممارسة على مستويات ثلاثة: هي مستوى المعنى الذي يحدد الطريقة التي يتجنب بها البليغ الوقوع في خطأ في المعنى. ومستوى البيان الذي يحدد الطرائق والأساليب التي يعبر بها البليغ عن المعنى الواحد بواسطة المجاز أو التشبيه أو الاستعارة أو الكناية. وأخيرا، مستوى البديع الذي يحدد وسائل تحسين الكلام عن طريق السجع والجناس والطباق، وما أشبه ذلك. هذه المستويات الثلاثة تكون العلوم الأساسية للبلاغة هي (علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع).

وتتشارك هذه العلوم في انها تقدم مجموعة من القواعد تحقق للكلام شروط الجودة التي تجعلنا نصف الكلام نفسه بالبلاغة، على أساس أن (البلاغة) صفة راجعة الى صياغة المعنى اساسا. وعلى هذا الاساس ناقش المحدثون البلاغة والنقد الأدبي، فجمعوا بينهما ـ من ناحية ـ وفصلوا بينهما، من ناحية أخرى. أما الزاوية التي تصل بين النقد والبلاغة فتنحصر في جانبين: أولهما أن البلاغة تشترك مع النقد الأدبي في

موضوع واحد يدرسه كل منهما، هو العمل الأدبي. والجانب الثاني: ان البلاغة لم تنفصل عن النقد الأدبي وتتميز عنه الا في عصور الضعف الأدبي، حين تحول الأدب الى صياغة لغوية شكلية لا قيمة للمعنى فيها، وقد تم ذلك منذ القرن الخامس للهجرة، بعد وفاة أبي العلاء المعري آخر الشعراء القدماء الكبار. أما الزاوية التي تفصل بين النقد والبلاغة فتتحدد في أربعة جوانب: أولها أن البلاغة دراسة جزئية للغة العمل الأدبي، تتوقف عند الجملة والعبارة، أما النقد فهو الدراسة الكلية التي لا تميز جانبا عن جانب، بل تدرس جميع الجوانب متكاملة ومتفاعلة. وثانيها أن البلاغة تعنى بالشكل، أي بالصياغة اللغوية، أما النقد فيعني بالشكل والمحتوى على السواء ولا يفرق بينهما. وثالثها أن البلاغة باعتبارها (قواعد للصياغة) سابقة على العمل الأدبي، أما النقد فهو لاحق للعمل الأدبي، لا يوجد الا بعد انتهاء الأديب من عمله. واخرها ان البلاغة تركز على السامع، وتهدف الى الكشف عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال: أما النقد فيعنى بالعناصر المتكاملة للعمل، وهي المبدع والمتلقي والعمل ذاته، والعالم الداخلي أو الخارجي الذي يصوره العمل الأدبي.

هذا الفهم يستحق المراجعة من وجهين. أولهما أنه فهم يقوم على الفصل بين الشكل والمحتوى، أو المعاني والألفاظ، أو الجزء والكل، ولذلك جعل البلاغة خاصة بالشكل والألفاظ والأجزاء، وجعل النقد خاصا بالكل لا بالجزء، وبالمحتوى وبالمعاني. ومادام العمل الأدبي وحدة واحدة لا يتميز فيها جزء عن كل أو شكل عن محتوى فإن الفصل بين البلاغة والنقد يغدو فصلا تعسفيا، لأن البلاغة شأنها شأن النقد لا يمكن ان تدرس جانبا من جوانب العمل الأدبي دون غيره، ولأن العمل الأدبي لا يمكن أن ينقسم الى منطقتين:

منطقة خاصة بالبلاغة، وأخرى خاصة بالنقد. الدليل على ذلك أن الألفاظ التي تدرسها البلاغة وتتخصص فيها لا يمكن ان تنفصل عن المعنى، كما ان الشكل لا يمكن ان ينفصل عن المحتوى.

وبالتالي لا يمكن تخصيص البلاغة بشيء دون النقد، بل يصبح كلاهما نشاطا واحدا لا ينفصل، أو يصبح كلاهما بمثابة اسمين لشيء واحد هو دراسة العمل الأدبي دراسة متكاملة، تراعي وحدة العمل الأدبي وعدم انقسامه أو انفصاله. أما الوجه الثاني فخاص بكيفية الدراسة الأدبية ومنهجها، ومرجعه الى خلط الدراسة الأدبية بأشياء ليست منها، ومن ثم توهم أن دراسة الأدب تشغل نفسها بالبحث عن المؤلف نفسه، أو عن العصر التاريخي الذي عاش فيه، وذلك بالقدر الذي تشغل فيه بدراسة العمل الأدبي. وفي ذلك خلط كبير بين دراسة ما حول النص الأدبي من حياة المؤلف وتاريخ الجماعة والعقائد والأفكار، ودراسة النص الأدبي نفسه من حيث علاقات لغوية متميزة ونتج عن ذلك قصر البلاغة على دراسة العلاقات اللغوية وتخصيص النقد الأدبي لما حول النص وتلك نتيجة مضللة لأن المجال الوحيد للدراسة الأدبية هو النص الأدبي.

أما ما سوى ذلك فلا شأن للدراسة الأدبية به، جوهريا، ومن ثم فلا مجال للتمييز بين جانب خاص بالنقد وآخر خاص بالبلاغة ومادام الموضوع الأساسي للدراسة الأدبية هو النص الأدبي، ومادام النص الأدبي في النهاية هو مجموعة من العلاقات اللغوية، فلا سبيل الى دراسة العمل الأدبي الا من خلال هذه العلاقات. وإذا كانت العلاقات اللغوية التي يتكون منها العمل الأدبي لا ينفصل فيها لفظ عن معنى أو شكل عن محتوى، فلابد من التوحيد بين البلاغة والنقد، وجعلهما نشاطا واحدا لا نشاطين منفصلين.

وعلى ذلك تصبح البلاغة جانبا من جوانب النقد الأدبي، هو الجانب التطبيقي الخاص بتحليل العلاقات اللغوية للجملة، أو العلاقات اللغوية للجمل التي يتكون منها النص الأدبي.[1]

[1] ينظرجابرعصفور، استراحةالبيان، عن النقد والبلاغة تاريخ المشاهدة: 01-07-2020. https://www.albayan.ae/opinions/2002-05-16جابر عصفور، استراحة البيان، عن النقد والبلاغة

الفصل الأول:

التعريف بابن الأثير و كتابه المثل السائر

المبحث الأول: التعريف بابن الأثير و كتابه

- التعريف بابن الأثير

- التعريف بكتاب المثل السائر

المبحث الثاني: موضوعات ابن الأثير و منهجه.

-موضوعات الكتاب

-منهج ابن الأثير

المبحث الاول

التعريف بابن الاثير وكتابه المثل السائر الادب الكاتب والشاعر

1- التعريف بابن الاثير: هو أبو الفتح نصر الله ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بضياء الدين، عربي الأصل ولد بجزيرة ابن عمر التي ينتسب إليها في أسرة ذات مقام كبير وجاه عظيم وذلك سنة 558هـ أي في منتصف القرن السادس الهجري. وقد ظل ابن الأثير بالجزيرة حتى سنة 579هـ وهي السنة التي انتقل فيها مع والده إلى الموصل يقول ابن خلكان أثناء ترجمته لضياء الدين: " وانتقل مع والده إلى الموصل في رجب سنة 599 وبها اشتغل بتحصيل العلوم.." رحل ابن الاثير مع والده إلى الشام فوصله القاضي لخدمة صلاح الدين الأيوبي ولم يلبث إلا بضعة أشهر حتى طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده. فالتحق ابن الأثير بخدمته وظل إلى جانبه يكتب له ويعاونه إلى أن مات صلاح الدين سنة 589هـ فتولى ابنه الأفضل الأمر من بعده في دمشق واستقل ضياء الدين بوزارة ويبدو أنه قد تصرف كما يحلو له. فقد كان وزيرا سيئ السيرة مع رجال الدولة فيما كانت أحوال السلطة بسببه كما يذكر محقق كتاب المثل السائر، أما الملك الأفضل فقد أقبل على اللعب وشرب الخمر واللهو حسب ما ذكره ابن الأثير، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير وهو الذي كان يحدوه إلى ذلك فتلف وأتلفه وضل وأضله وزالت النعمة عنهما، وكانت هذه التصرفات سببا في العداء بين الملك الأفضل وأخيه العادل ابن صلاح الدين من جهة وعداء آخر بين ابن الأثير نفسه والعامة

من الناس وكبار رجال الدولة من جهة أخرى. فما كان من أخوي الأفضل: العزيز والعادل إلا أن اتفقا على السير إلى دمشق لحسم هذه التصرفات التي لم تعقب غير النتائج السيئة ففر ابن الأثير متخفيا في صندوق فيما خرج الأفضل من دمشق.

ثم تولى هذا الأخير أمر مصر بعد وفاة أخيه فاستدعى ابن الأثير الذي مكث معه عاما وبعض العام ويبدو أن هذا الأمر لم يرقه حلب لخدمة الملك الظاهر غازي. ثم غادر نحو الموصل فاربل وسنجار ثم الموصل التي أقام بها هذه المرة بشكل النهائي حيث قام خلال فترة إقامته هذه بتدريس اللغة والأدب فضلا عن إنتاجه لكتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وقد توفي ببغداد سنة 637 هـ.

2- التعريف بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

هذا الكتاب درة بين كتب البلاغة والنقد، وقد أحدث حركة كبيرة في علم البيان، وأفاد منه من جاء بعده من النقاد والبلاغيين، وكان له حضور واضح في مؤلفاتهم، وليس هناك كتاب في البلاغة إلا وللمثل السائر تأثير فيه، ومازال تأثير هذا الكتاب القيم ممتدا إلى يومنا هذا، فهو مرجع أصيل من مراجع النقد والبلاغة. فإن له مكانة سامقة في دنيا البلاغة العربية، ومن أسباب شهرة هذا الكتاب أن صاحبه أفاد من عمله لسنوات طويلة مع القاضي الفاضل وفي بلاط الكتابة والوزارة فجمع مادة غزيرة أمدها بأمثلة صافية وافية ولم يبتعد عن هذا الكتاب تحديدا، بل جعله مشروعا فكريا وثقافيا دافع عنه ونافح، فأضاف إليه وشطب منه وعدل فيه ليصل به إلى درجة من الإتقان والرفعة.

منذ كتابة هذا الكتاب وهو يتبوأ المكانة الرفيعة حيث أن:" جماعة من أكابر الموصل قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جدا وتعصبوا له حتى فضلوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن و أوصلوا منه نسخا

معدودة إلى مدينة السلام وأشاعوه وتداوله كثير من أهلها"[1]، ويبدو أن هذه الشهرة الطاغية كانت وراء نسبة ابن الأثير لكتابه هذا[2]، فغالبا ما يذكر المثل السائر في مقدمة مؤلفاته.

تبقى نقطة لابد من الإشارة إليها هي إن هناك أجزاء ساقطة من هذا الكتاب، وجميع الطبعات تحتوي على الأجزاء الساقطة نفسها، ربما كان ذلك بسبب استعجال أهل الموصل نشر الكتاب، فهذا ابن أبي الحديد الذي كان معاصرا لابن الأثير يؤكد أن النسخة التي وصلته قد سقط منها الجواب فقال:"... ثم أمسك عن الجواب، هكذا وجدته في نسخة هذ الكتاب التي وصلت إلينا من الموصل، فطلبت نسخة أخرى ثم تأملتها، فوجدته قد أخلى بياضا للجواب." [3]

والحقيقة التي لا شك فيها أن كتاب المثل السائر زاخر بالدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية، وما أكثر ما طوف به آفاقها التي لا يكاد يدركها الحصر، وما جمع من الأقوال والآراء، وما حشد من فنون الأدب ونصوصه.

3- مكانة كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر بين الكتب التراثية[4]:

يعد كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير الأكثر شهرة من كتبه، فهو موسوعة أدبية كبرى نظمه على نهج متفرد، و لا ينسى أن يشير في مقدمته إلى كتابين يثني عليهما و لكنه لم يكن

[1] ابن أبي حديد، **الفلك الدائر على المثل السائر**، تحقيق، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط، 1984، ص30.

[2] جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط، 6، 1992، 281/1

[3] ابن أبي حديد، ، **الفلك الدائر على المثل السائر** ص 246.

[4] سماح الوهيبي، **بلاغة الشاهد النبوي و النثري في كتاب المثل السائر**، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، السعودية، 2017، ص16.

إمعة مقلدا، فثنايا كتابه تشهد انتقاداته لهما، يقول: " و ما من كتاب إلا تصفحت سينه و شينه و علمت غثه و سمينه فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب: الموازنة (لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي)، و كتاب (سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي)"..

و يقف وراء تأليفه كتاب (المثل السائر) دافع قوي، و هو ما رأى من تهاون بعض سابقيه في علوم البيان أو تخبطهم في شيء منها، فأراد أن يستكمل ما بدؤوه، و يستدرك ما فاتهم.

و يقع هذا الكتاب في منزلة عالية بين المصادر التراثية، إذ يشبهه بدوي طبانة في غزارة مادته بكتاب البيان و التبيين للجاحظ، و كتاب الكامل للمبرد، و إن كان يميزه عنهما بوضوح المنهج، و وحدة الموضوع، بعيدا عن الاستطراد الذي تتميز به مؤلفات سابقيه.

و يثني عليه أحد الباحثين إذ يرى أنه: " في مقدمة من أوضح معالم البلاغة و أحكم الكلام على فنون الإنشاء، و رتب فصوله و أنواعه و بين أصوله و فروعه، و دقق في جمال اللفظ المفرد و المركب، و جلي النقد الأدبي بجراءة لا تعرف هوادة و لا مداراة، و رفع بنيانه على قوة المنطق و براعة التعليل.

و يقول آخر: " أما ضياء الدين ابن الأثير الموصلي، فتدقيقاته العلمية أحل من كتاباته الأدبية، و ما أودعه في كتابه المثل السائر من مسائل هذه الفنون، فلما يوجد في سواه من المؤلفات، و لكن قد تخفى عليه أسرار من الفن فطن لها البلغاء، و هذا من سيما الطبيعة البشرية المستعصية على الكمال.

لقد ثار ابن الأثير على الإتجاه السائد في عصره من الإغراق في البديعيات، و هو كذلك قد اتخذ مسارا مخالفا للذين فلسفوا البلاغة و منطقوها، فحفلت البلاغة عنده بطابع الذوق الأدبي.

ثم إنه أحدث ضجة كبرى في الشام و مصر و العراق، لانتقاده لرواد التصنع كالحصكفي، و القاضي الفاضل، و العماد الكاتب و غيرهم.

المبحث الثاني:

موضوعات كتاب المثل السائر و منهج ابن الأثير

1-موضوعات كتاب المثل السائر:

يتضمن الكتاب البحث في علم البلاغة والنقد لصناعة الكاتب والشاعر وقد بني على مقدمة ومقالتين، فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان، والمقالتان تشتملان على فروعه.

تقع المقدمة في عشرة فصول علم البيان وما ينبغي له من الأدوات، وهي عنده ثمانية أنواع: معرفه الصرف والنحو، ومعرفه المألوف استعماله في فصيح الكلام، ومعرفه أمثال العرب و أيامهم، والاطلاع على تأليف المتقدمين من أرباب هذه الصناعة، ومعرفة الأحكام السلطانية، ثم حفظ القرآن و التدرب على استعماله في مطاوئ الكلام، وحفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم معرفة العروض والقوافي. وبعد ذلك تطالعنا العناوين الآتية: في الحكم على المعاني، في الترجيح بين المعاني، في جوامع الكلم، في الحكمة التي هي ضالة المؤمن، في الحقيقة والمجاز، في الفصاحة والبلاغة، في أركان الكتابة، في الطريق إلى تعلم الكتابة.

أما المقالة الأولى فقد خصصها ابن الأثير للصناعة اللفظية، و إن قسمت هي الأخرى إلى قسمين اثنين هما:

1- في اللفظة المفردة 2- في الألفاظ المركبة

وجعل صناعة تأليفها على ثمانية أنواع: السجع، والتجنيس، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، واختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها، والمعاضلة اللفظية، والمنافرة بين الألفاظ والسبك.

ويأتي الجانب الأكبر من الكتاب للمقالة الثانية وهي: في الصناعة المعنوية، حيث يقسمها إلى قسمين هما:

1- في الكلام عن المعاني مجملا 2- في الكلام عليها مفصلا

جعل القسم الأول على ضربين: أحدهما ما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي بمن سبقه، والآخر ما يحتذي فيه مثالا سابقا، والقسم الثاني بناه على ثلاثين نوعا، كالتشبيه والإستعارة، والتجريد والإلتفات، التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، والأرصاد الكناية، والسرقات الشعرية، وسوى ذلك...

2- منهج ابن الأثير في تناول القضايا البلاغية:

لقد تبدى الوعي بتفرد ابن الأثير في آرائه و أفكاره من خلال آراء عدد من الدارسين المعاصرين، إذ يكفي استطلاع بعض منها للتأكد من حضور هذا الوعي، من ذلك رأي يوسف بكار الذي وصف المثل السائر قائلا:" لا يعدم الدارس المدقق أن يجد فيه إشارات هامة ونظرات بارعة، والتفاتات إلى قضايا نقدية لم يضف إليها على إيجازها النقد الحديث شيئا".[1]

و مرة أخرى نؤكد أننا لا نحاول أن نثبت أن ابن الأثير أتى بكل ما أتى به المعاصرون، أو أنه كان سباقا للنقد الحديث و المعاصر، لكن هذا الناقد أدلى بكثير من الآراء النقدية التي لها اعتبارها في موازين النقد الأدبي، و في نظرنا فإن هذه الظاهرة ترتد أساسا إلى المنهج الذي تبناه، و الذي يجمع فيه بين النزعتين

[1] يمينة رعاش، **القضايا النقدية والابداعية في كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير**، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2015، ص 265

العلمية والأدبية، إضافه إلى عوامل ذاتية طبعت شخصيته و أسهمت في خدمة هذا المنهج الذي سنحاول إيجاز أهم خصائصه ضمن نقاط أبرزها:

1- الثقافة الواسعة التي تميز بها ابن الأثير، والناشئة عن إدمان الرياضة بالنصوص الفنية وقراءة الشعر بتواصل، و الإطلاع على نماذج جيدة منه، أهمها القرآن الكريم وعيون الشعر العربي القديم، ما أوصله إلى تقدير قيمة النص، و اكتشاف أوجه الإبداع و الجدة فيه، و في هذا السياق يذكر أحد الدارسين أن الشكلانيين يذهبون إلى أن:" دعم أدبية الأدب لا تكون بتبديد جهد الناقد في تحصيل العلم بفروع لن يصل فيها إلى مرتبة المتخصص، حتى و لو أضيف عمر إلى عمره، و إنما تكون بتكريس الجهد لتوسيع خبرة هذا الناقد بالنصوص الأدبية، و ذلك يكون بالتعمق في قراءة مئات بل آلاف النماذج، و هذه القراءة العميقة الفاحصة النافذة ستصل به أخيرا إلى السيطرة على ذلك الشيء الغريب الفريد الساحر الممتع، الذي هو سر من تأثير الأدب فينا".[1]

لقد ترتب عن هذه الثقافة الموسوعية لدى ابن الأثير، وغزارة محفوظه الأدبي التمكن من استدعاء الشواهد للرد على الآخرين، و استقلاليته في عرضها:" حيث لم يتقيد بالأشكال الشعرية و المصادر التي فرضت نفسها على من سبقه"[2]، فضلا عن براعته في اقتناص الشواهد المناسبة تماما للموضوعات والإكثار منها، مما أشاع حياة خصبة في كتابه، فلم يكن يركز على القاعدة بقدر تركيزه على تلك الشواهد و التنويع فيها،" و لقد كان اطلاع ابن الأثير على هذا الشعر الكثير، وحفظه ما استطاع من نصوصه من أهم

[1] السعدي مصطفى، **المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية**، منشأة المعارف الإسكندرية، دط، دت، ص24-25.

[2] يمينة رعاش، **القضايا النقدية والابداعية في كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير**، ص265.

الأسباب في توسيع دراسته البيانية، وكثرة ما اهتدى إليه من أحكام، أكثرها سديد مصيب... فلا يسعك إلا أن تستجيد ما تقرأ، و إلا أن تعترف بأنه إمام عالم من صفوة العلماء الثقات في كل فن".[1]

2- توظيف ابن الأثير مهارته بالتذوق، و التي تميزت بخصائص أهمها: أن مؤشر الذوق لديه جد حساس، و قادر على رصد أدق جزئيات العمل الأدبي، مع وقوفه على سر تأثيرها أو إخفاقها في تحقيق الأغراض.

3- ابن الأثير مثالا للقارئ المتمكن و الناقد الضليع في مجال عمله، فإنه شخصية واسعة ذات قدرة عالية في تسجيل كل انطباع جمالي أو اثر نفسي بدقة و وعي، و في هذا السياق يرى مصطفى ناصف أنه إذا تحدث الناقد عن معنى أدبي دون الرجوع إلى الشكل فهو يخطئ الطريق إليه، و يحول العمل الأدبي إلى مادة إخبارية.[2]

4- الوقت الذي يعتمد فيه ابن الأثير على تحليل النص داخليا، فإنه ايضا يحلل و يفسر الآثار النفسية التي تخلفها بعض البنى على المتلقي، و من هنا لا نجد أهميه للبنية إلا بقياس آثارها، مع تحليل هذه الآثار و بيان جهتها.

و اهتم ابن الأثير بنوازع النفس حيث تكون هذه الأخيرة مقياس لصناعة الشعر، و هو مقياس قلما نجد ناقدا يوليه ما أولاه ابن الأثير من اهتمام و تقدير، و في هذا السياق يذكر أبزر أن البنى النصية:" لا تستوفي وظيفتها إلا إذا كان لها تأثير على القارئ، و كل بنية قابلة للتمييز في التخييل لها غالبا هذان الوجهان: الوجه اللفظي و الوجه التأثيري، يوجه المظهر اللفظي رد فعل و يمنعه من أن يكون اعتباطيا، بينما

[1] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج 2ص 343ت/ محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية– بيروت لبنان، 14.

[2] ناصف مصطفى، **دراسة الأدب العربي**، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، دط، دت، ص102.

يكون المظهر التأثيري استفاء لذلك الشيء الذي قد تمت بنيته بواسطة لغة النص، و بالتالي فأي وصف للتفاعل بين المظهرين يجب أن يجسد في الآن ذاته بنية التأثيرات(النص) و بنية التجاوب(القارئ).[1]

5- يميل أسلوب ابن الأثير إلى المعالجة و الطرح و في أغلب الأحيان إلى وصف الحقائق لا فرض القواعد، فكان يعني باستنباط الأحكام من اللغة أو النص، لأن البلاغة عنده ليست" علما للهياكل الجاهزة و التصاميم المعدة سلفا".[2]

و من خلال ما راينا نلاحظ أن ابن الأثير قد صارت لديه كل أدوات الناقد من رهافة الحس و طول ممارسة، و معرفة سليمة و قدرة على المقارنة الجيدة، فقد طبق عمليا و بأحكام كثيرا مما عرفته الدراسات الحديثة و مارسه تطبيقا، حتى أصبح كتاب المثل السائر" لا يكاد كتاب ينافسه في التحليل إلا كتابا أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الذي جمع بين النظرة العلمية و النزعة الأدبية بالغرض و التحليل، مستمدا من روح العربية و خصائصها منهجا يعد من أرقى ما وصلت إليه الدراسات اللسانية في القرن العشرين".[3]

[1] يمينة رعاش، **القضايا الإبداعية و النقدية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لضياء الدين ابن الأثير**، ص266.

[2] المرجع نفسه، ص266.

[3] مطلوب أحمد، **تيسير البلاغة**، مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، ص862.

الفصل الثاني: القضايا البلاغية النقدية في كتاب المثل السائر

المبحث الأول: قضايا بلاغية نقدية

1- الحقيقة و المجاز

2- الفصاحة و البلاغة

3- التجنيس

4- الترصيع

5- التشبيه

6- الإستعارة

7- الإلتفات

8- الإيجاز و الإطناب

المبحث الثاني: قضايا نقدية في كتاب المثل السائر

1- القدم و الحداثة

2- اللفظ و المعنى

3- الطبع و الصنعة

4- الموازنة

5- في أركان الكتابة

6- حل الأبيات الشعرية

– المبحث الأول: قضايا بلاغية – نقدية

1– الحقيقة و المجاز[1]:

هذه القضية مهمه كثيرا في علم البيان، لا بل هي علم البيان بأجمعه، فإن في تصريف العبارات على الأسلوب المجازي فوائد كثيرة، و سيرد بيانها في مواضعها من هذا الكتاب.

فأما (الحقيقة) فهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي.

و أما(المجاز) فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، و هو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه.

فالمجاز ابن اسم للمكان الذي يجاز فيه، كالمعاج و المزار و أشباههما. و حقيقته هي الإنتقال من مكان إلى مكان آخر، فجعل ذلك لنقل الألفاظ محل إلى محل.

كقولنا زيد أسد. فإن زيدا إنسان. و الأسد هو هذا الحيوان المعروف. و قد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصله بينهما، و تلك الوصلة هي صف' الشجاعة.

و قد يكون العبور لغير وصله، و ذلك هو(الإتساع) كقولهم في كتاب "كليله ودمنة: " قال الأسد، و قال الثعلب. فإن القول لا وصله بينه و بين هذين بحال من الأحوال، و إنما أجري عليهما اتساعا محضا لا غير.

و لهذا مثال في المجاز الحقيقي الذي هو المكان المجاز فيه، فإنه لا يخلو إما أن يجاز من سهل إلى سهل، أو من وعر إلى وعر، فالجواز من سهل إلى سهل أو من وعر إلى وعر، هو كقولنا زيد أسد، فالمشابهة حاصلة

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص84.

في ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة في المكان. و الجواز من سهل إلى وعر كقولهم: قال الأسد، و قال الثعلب. فكما أنه لا مشابهة بين القول و بين هذين، فكذلك لا مشابهة بين السهل و الوعر. و سيأتي كشف الغطاء عن ذلك، و إشباع القول في تحقيقه في باب(الإستعارة) فليؤخذ من هناك.

و قد ذهب قوم إلى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه، و ذهب آخرون إلى أنه كله مجاز لا حقيقة فيه، و كلا هذين المذهبين فاسد عندي، و سأجيب الخصم عما ادعاه فيهما، فأقول: محل النزاع هو أن اللغة كلها حقيقة. أو أنها كلها مجاز، و لا فرق عندي بين قولك إنها كلها حقيقة، أو إنها كلها مجاز، فإن كلا الطرفين عندي سواء، لأن منكرهما غير مسلم لهما. و أنا بصدد أن أبين أن في اللغة حقيقه و مجازا.

و (الحقيقة اللغوية)، هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني، و ليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء، أي نفسه و عينه. فالحقيقة اللفظية إذا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، و المجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره.

و تقرير ذلك بأن أقول: المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها، ليعرف كل منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس، و هذا يقع ضرورة لا بد منها، فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازا.

و مثال ذلك إذا قلنا: «شمس» أردنا بها هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء، و هذا الاسم له حقيقة، لأنه وضع بإزائه. و كذلك إذا قلنا «بحر» أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، و هذا الاسم له حقيقة، لأنه وضع بإزائه.

فاذا نقلنا(الشمس) إلى(الوجه المليح) استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة. و كذلك إذا نقلنا(البحر) إلى(الرجل الجواد) استعاره كان ذلك مجازا لا حقيقة.

و اعلم كل مجاز فله حقيقة، لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعه له، إذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها.

-2الفصاحة والبلاغة:[1]

إن الاهتمام بالصياغة الأدبية كان محور اهتمام النقاد و البلاغيين العرب، لذلك درسوها ضمن عدة مستويات بدءا بالصوت فالكلمة ثم الجملة و حتى النص، لكن نقطة الخلاف بينهم كانت في رد الجمال الفني إلى إحدى هذه المستويات تحت ما يسمى بالفصاحة و البلاغة، فما مفهوم الفصاحة و البلاغة؟

يقول ابن الأثير عن هذا الباب: "أنه متعذر على الوالج، و مسلك متوعر على الناهج، و لم يزل العلماء من قديم الوقت و حديثه يكثرون القول فيه، و البحث عنه، لم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل.

و غاية ما يقال في هذا الباب أان " الفصاحة " هي الظهور و البيان في أصل الوضع اللغوي، يقال " أفصح الصبح " إذا ظهر، ثم إنهم يقفون عند ذلك، و لا يكشفون عن السر فيه"[2].

و بهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة، لأنه يعترض عليه بوجوه من الإعتراضات:

[1] يمينة رعاش، **القضايا الإبداعية والنقدية**، ص122.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص166.

أحدهما: أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا، ثم إذا ظهر و تبين صار فصيحا.

الوجه الآخر: أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين، فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص، فإن اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد، و لا يكون ظاهرا لعمرو. فهو إذن فصيح عند هذا، و غير فصيح عند ذاك، و ليس كذلك، بل الفصيح هو فصيح عند الجميع، لا خلاف فيه بحال من الأحوال، لأنه إذا تحقق حد الفصاحة، و عرف ما هي، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف.

الوجه الثالث: أنه إذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع، و هو مع ذلك ظاهر بين، ينبغي أن يكون فصيحا، و ليس كذلك. لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح.

فهذه الإعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل: إن اللفظ الفصيح هو الظاهر البين، من غير تفصيل، و يقول ابن الأثير أيضا أن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، و أعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومه، لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة. و إنما كانت بهذه الصفة، لأنها تكون مألوفة الإستعمال بين أرباب النظم و النثر، دائرة في كلامهم. و إنما كانت مألوفة الإستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها.

و ذلك أن أرباب النظم و النثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها، و سبروا و قسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه. و نفوا القبيح فلم يستعملوه فحسن الألفاظ[1] سبب استعمالها دون غيرها، و استعمالها دون غيرها سبب ظهورها و بيانها، فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن.

[1] المصدر السابق، ص91.

فإن قيل: من أي وجه علم أرباب النظم و النثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه، و علموا القبيح منها حتى نفوه و لم يستعملوه؟ فأجاب ابن الأثير: "أن هذا من الأمور المحسوسة التي شاهدها من نفسها، لأن الألفاظ داخله في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها، و يميلّ إليه هو الحسن، و الذي يكرهه و ينفر عنه هو القبيح.

ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير، و يكره صوت الغراب و ينفر عنه، و كذلك يكره نهيق الحمار و لا يجد ذلك في صهيل الفرس؟ و الألفاظ جارية هذا المجرى، فإنه لا خلاف في أن لفظة " المزنة " و " الديمة " حسنه يستلذها السمع، و أن لفظة " البعاق " قبيحة يكرهها السمع. و هذه اللفظات الثلاثة من ص صفة المطر، تدل على معنى واحد، و مع هذا فإنك ترى لفظتي " المزنة "و " الديمة " و ما جرى مجراهما مألوفة الإستعمال، و ترى لفظ " البعاق " و ما جرى مجراه متروكا لا يستعمل و إن استعمل، فإنما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة، أو من ذوقه غير سليم لا جرم أنه ذم و قدح فيه، و لم يلتفت إليه.

و إذا ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، و إنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الإستعمال. و إنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، و حسنه مدرك بالسمع. و الذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ، لأنه صوت يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن، و ما كرهه فهو القبيح. و الحسن هو الموصوف بالفصاحة، و القبيح غير موصوف بفصاحة.

و أما البلاغة: فإن أصلها في وضع اللغة من الوصول و الإنتهاء، يقال: بلغت المكان، إذا انتهيت إليه، و مبلغ الشيء منتهاه. و سمي الكلام بليغ من ذلك، أي أنه قد بلغ الأوصاف اللفظية و المعنوية.

و البلاغة شاملة للألفاظ و المعاني، و هي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان. فكل إنسان حيوان، و ليس كل حيوان إنسانا. و كذلك يقال: "كل كلام بليغ فصيح. و ليس كل كلام فصيح بليغ".

و يفرق بينها و بين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص و العام، و هو أنها لا تكون إلا في اللفظ و المعنى، بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، و يطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة، و هو الحسن. وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما.

3- التجنيس:

يقول ابن الأثير في هذا الباب ان التجنيس هو غرة شادخة وجه الكلام، و قد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه، فغربوا و شرقوا، لاسيما المحدثين منهم، و صنف الناس فيه كتبا كثيرة، و جعلوه أبوابا متعددة، و اختلفوا في ذلك، و أدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، فمنهم عبد الله بن المعتز، و أبو علي الحاتمي، و القاضي أبو الحسن الجرجاني[1]، و قدامة ابن جعفر الكاتب، و غيرهم.

و إنما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، و حقيقته أن يكون اللفظ واحدا و المعنى مختلفا.

و على هذا فإنه هو اللفظ المشترك، و ما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء، إلا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا، و تلك تسمية بالمشابهة، لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه.

[1] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص262.

و على هذا فإني نظرت في التجنيس و ما شبه به فأجرى مجراه، فوجدته ينقسم إلى أقسام، واحد منها يدل على حقيقة التجنيس، لأن لفظه واحد لا يختلف، و ستة أقسام مشبهة.

أ- التجنيس الحقيقي:

فأما القسم الأول[1]: فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها و وزنها، كقوله تعالى: ﴿ **و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾[2]

ويروى في الأخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **خلوا بين جرير و الجرير** » أي: دعوا زمامه.

و مما جاء منه في الشعر قول أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقة بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

" فالغرر " الأولى استعاره من غرر الوجه، و " الغرر " الثانية مأخوذه من غرة الشيء أكرمه، فاللفظ إذا واحد و المعنى مختلف. و كذلك قوله:

من القوم جعد أبيض الوجه و الندى و ليس بنان يجتدى منه بالجعد [3]

فالجعد: السيد، و البنان الجعد: ضد السبط، فأحدهما يوصف به السخي و الآخر يوصف به البخيل، و كذلك قوله:

---

[1] المصدر السابق، ص263.

[2] سورة **الروم** الآية: 55.

[3] ديوان أبي تمام، من قصيدة يمدح فيها حفص بن عمر الأزدي 131.

بكل فتى ضرب يعرض للقنا محيا محلى حليه الطعن و الضرب[1]

فالضرب: الرجل الخفيف، و الضرب بالسيف، في الحرب، و كذلك قوله:

عذاك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور و عن سلسالها الخصب[2]

فالثغور جمع ثغر، و هو واحد الأسنان، و هو أيضا البلد الذي على تخوم العدو.

ب- ما يشبه التجنيس[3]: أما الأقسام الستة المشبهة بالتجنيس:

القسم الأول منها: أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها، مما جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلم: « **اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي** » ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتين في التركيب مختلفتين في الوزن، لأن تركيب خلق و الخلق من ثلاثة أحرف، و هي الخاء و اللام و القاف، إلا إنهما قد اختلفا في الوزن، إذ وزن " الخلق " فعل بفتح الفاء، و وزن " الخلق " فعل بضم الفاء.

القسم الثاني[4]: و هو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير، و إن زاد عن ذلك خرج من باب التجنيس. فمما جاء منه قوله تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة** ﴾[5] فإن هاتين اللفظتين على وزن واحد، إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد.

و كذلك قوله تعالى: ﴿ **ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق و بما كنتم تمرحون** ﴾ [1]

---

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص263.

[2] ديوان أبي تمام من قصيدته التي يمدح بها المعتصم و يذكر فتح عمورية.

[3] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص268.

[4] المصدر نفسه، ص268.

[5] سورة القيامة الآيتان: 22-23.

وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **الخيل معقود بنواصيها الخير** » وقال بعضهم:

« **لا تنال المكارم الا بالمكاره**»

وقال ابو تمام:

يمدون من أيد عوص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وقال البحتري:

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد و مهفهف الكشحين أحوى أحور

القسم الثالث[2]: و هو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن و التركيب بحرف واحد، كقوله تعالى: ﴿ **و التفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق** ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ **و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا** ﴾[4]

و دخل ثعلب صاحب كتاب" الفصيح" على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى و جلس إلى جانبه، ثم أقبل عليه و قال: " أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمتحابين، و لا تسع الدنيا بأسرها متباغضين" فقال أحمد:" الصديق لا يحاسب، و العدو لا يحتسب له". و التجنيس في كلام أحمد رحمه الله في قوله: " يحاسب" و " يحتسب".

---

[1] سورة **غافر**، الآية: 75.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص269.

[3] سورة **القيامة**، الآيتان: 29-30.

[4] سورة **الكهف**، الآية108.

القسم الرابع[1]: و يسمى المعكوس.

وذلك ضربان: أحدهما عكس الألفاظ، و الآخر عكس الحروف.

فالأول: كقول بعضهم: " عادات السادات سادات العادات" و كقول الآخر:" شيم الأحرار أحرار الشيم"

كذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله و لا مال في الدنيا لمن قل مجده

و كذلك قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان:

أسف بمن يطير إلى المعالي و طار بمن يسف إلى الدنايا

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة، و عليه رونق، و قد سماه قدامة بن جعفر الكاتب "التبديل" و ذلك اسم مناسب لمسماه، لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدما في جزء كلامه الأول مؤخرا في الثاني، و بما مؤخرا في الأول مقدما في الثاني، و مثله قدامة بقول بعضهم:" أشكر لمن أنعم عليك، و أنعم على من شكرك".

و من هذا القسم قوله تعالى: ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾[2].

أما الضرب الثاني من هذا القسم: وهو عكس الحروف- فهو كقول بعضهم:

أهديت شيئا يقل لولا أحدوثة الفال و التبرك

كرسي تفاءلت فيه لما رأيت مقلوبه « يسرك »

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص273.

[2] سورة **آل عمران**، الآية: 22.

وكذلك قول الاخر:

كيف السرور بإقبال و آخره اذا تأملته مقلوب «إقبال »

و أجود من هذا كله قول الآخر:

جاذبتها و الريح تجذب عقربا من فوق خد مثل قلب العقرب

و طففت ألثم ثغرها فتمنعت و تحجبت عني" بقلب" العقرب

و إذا قلب لفظ" عقرب" صار" برقعا".

و هذا الضرب نادر الإستعمال، لأنه قل ما يقع كلمه تقلب حروفها فيجيء معناها صوابا.

القسم الخامس[1]: و يسمى(المجنب) وذاك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى و الجنيبة لها، كقول بعضهم:

أا العباس لا تحتسب بأني لشيء من حلى الأشعار عاري

فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرى الأحجار جاري

و هذا القسم عندي فيه نظر، لأنه بلزوم ما لا يلزم أولى منهم بالتجنيس. ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ و اختلاف المعنى. و ها هنا لم يتفق إلا جزء من اللفظ، و هو أقله، و أما اللزوم في الكلام المنثور فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المسجوعة، و هذا هو كذلك، لأن العين و الراء تساويا في البيت الأول في قوله:(الأشعار) و(عار)، و الجيم والراء في البيت الثاني في قوله :(الأحجار) و(جار).

القسم السادس[1]: و هو ما يساوي وزنه تركيبه، غير أن حروفه تتقدم و تتأخر، و ذلك كقول أبي تمام:

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص276.

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك و الريب

فالصفائح و الصحائف مما تقدمت حروفه و تأخرت.

و قد ورد في الكلام المنثور كقوله صلى الله عليه وسلم في فضل تلاوة القران الكريم: « **يقال لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فان منزلتك عند اخر ايه تقرأ** »[1].

فقوله صلى الله عليه وسلم(اقرأ)و(ارق) من التجنيس المشار إليه في هذا القسم .

4- الترصيع:

و هو مأخوذ من ترصيع العقد، و ذاك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر، و كذلك نجعل هذا في الألفاظ المنثورة من الأسجاع، و هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن و القافية. و هذا لا يوجد في كتاب الله تعالى، لما هو عليه من زيادة التكلف. فأما قول من ذهب إلى أن في كتاب الله منه شيء و مثله بقوله تعالى: ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم و إن الفجار لفي جحيم** ﴾[2]، فليس الأمر كما وقع له، فإن لفظه(لفي) قد وردت في الفقرتين معا، و هذا يخالف شرط الترصيع الذي اشترطناه، لكنه قريب منه.

[1] المصدر نفسه، ص277.

[2] سورة **الإنفطار**، الآيتان: 13-14.

أما الشعر فإني كنت أقول أنه لا يتزن على هذه الشريطة، و لم أجده في أشعار العرب، لما فيه من تعمق الصنعة، و تعسف الكلفة، و إذا جيء به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون إذا جيء به في الكلام المنثور، ثم إني عثرت عليه في شعر المحدثين، و لكنه قليل جدا، فمن ذلك قول بعضهم:

فمكارم أوليتها متبرعا وجرائم ألغيتها متورعا

ف(مكارم) بإزاء(جرائم)و(أوليتها)بإزاء(ألغيتها)و(متبرعا)بإزاء(متورعا).

و قد أجاز بعضهم أن يكون أحد ألفاظ الفصل الأول مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني، و هذا ليس بشيء، لمخالفته حقيقة الترصيع.

فمما جاء من هذا النوع منثورا قول الحريري في مقاماته(فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الأسماع بزواجر وعظه) فإنه جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزنا و قافيه، فجعل(يطبع) بإزاء(يقرع) و(الأسجاع) بإزاء(الأسماع) و(جواهر)بإزاء(زواجر) و(لفظه) بإزاء (وعظه).

و كذلك قول بعضهم في الأمثال المولدة التي لم ترد عن العرب، و هو:" من أطاع غضبه أضاع أدبه"، (أطاع) بإزاء(أضاع) و(غضبه) بإزاء(أدبه).

و قد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي أنشاها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله، فمن ذلك قوله في أول خطبة: « **الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره، و حاصد أثمة الغرور بقواصم مكره، و موفق عبيده لمغانم ذكره، و محقق مواعيده بلوازم شكره** ».

فالألفاظ التي جاءت في الفصلين الأولين متساوية وزنا و قافية، و التي جاءت في الفصلين الأخرين فيها تخالف في الوزن، فإن(مواعيد) تخالف وزن(عبيد)، و لا تخالف قافيتها التي هي الدال.

5- التشبيه:

التشبيه لغة كما عند الجوهري: « **شبه وشبه لغتان بمعنى. يقال: هذا شبهه، اي شبيه... والتشبيه: التمثيل** »[1]، و من هذا المعنى اللغوي الذي يجعل التشبيه و التمثيل مترادفين انطلق ابن الأثير في مطلع حديثه عن التشبيه مخطئا من يضع الحدود بينهما، و يفرقهما[2]، و لعله يقصد بذلك عبد القاهر الجرجاني الذي بدل جهده في التفرقة التشبيه و التمثيل[3].

وحد التشبيه عند ابن الأثير: « **للمشبه حكم من أحكام المشبه به** »[4]، هذا الحد قاصر كما يقول عبد الواحد حسن الشيخ، لأنه لم يوضح الطريقة التي يتم بها هذا الإثبات، كما قد لا يكون فيه جمال و لا قبح، فيأتي لغرض التقريب دون خيال بمنحه قيمه بلاغية[5]، و للحقيقة فإن ابن الأثير و إن كان قيده قاصرا، إلا أنه قد تعرض لهذا كله و أكثر منه في شروط التشبيه.

و المألوف هو أن التشبيه نوع من الحقيقة، و على رأس من يقول بذلك عبد القاهر الجرجاني، و ابن الأثير يعد التشبيه مجازا، فيقول: « **المجاز ينقسم الى قسمين: توسع في الكلام و تشبيه** »[6].

---

[1] الجوهري، **الصحاح** (22/ 36).

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 123.

[3] محمد مصطفى صوفيه، **المباحث البيانية بين ابن الاثير والعلوي**، ص82.

[4] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص121.

[5] المصدر نفسه، ص86.

[6] المصدر نفسه، ص86.

وهذا يعود إلى أنه يعد المجاز اسم مكان، إذ يرى إن المجاز كالمعاج، و المزار، أي اسم للمكان الذي يوجد فيه، و حقيقته تتمثل في الإنتقال من مكان إلى مكان آخر، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، لوصله بينهما.[1]

ابن رشيق الذي سبق ابن الأثير في عد التشبيه مجازا فقال: « **إن التشبيه داخل تحت المجاز، لأن المتشابهين في أكثر الأشياء يتشابهان بالمقاربة على المسامحة و الإصطلاح لا على الحقيقة** ».[2]

و جمهور علماء البيان على أن التشبيه حقيقة، و هو الأصل، و الإستعارة مبنية عليه، و إن كان « التشبيه هو أكثر الأنواع البلاغية أهمية بالنسبة للناقد و البلاغي القديم، و الحديث عنه بمثابة مقدمة ضرورية لا يمكن تأمل الإستعارة و المجاز دونها[3]، إلا أننا نجد ابن الأثير يبدأ بالمجاز و الإستعارة ثم يدخل على التشبيه، و لهذا جاء حديث ابن الأثير مرتبكا بعض الشيء، لأنه اضطر بداية حديثه عن الإستعارة إلى بسط الأمر في التشبيه، ليوضح بناء الإستعارة عليه، و ليفرق بينهما.

أما فائدة التشبيه فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، و ذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه » [4]

و ينطوي التشبيه على صفات ثلاث: المبالغة، البيان و الإيجاز، أما اللإيجاز فلأن جعلك الشيء شبيه شيء آخر ينزع عليه صفاته دون حاجة إعدادية واحدة واحدة- و قد تطول- أما البيان ففي التشبيه توضيح

[1] المصدر نفسه ، ص131..

[2] ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** ج1 ، ص68.

[3] جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، دار المعارف، ص 187 .

[4] ابن الأثير، المثل السائر، 131.

لتلك الصفات، و أما المبالغة فلجعلك المشبه هو نفسه المشبه به، لذا فإن التشبيه المضمر أوجز و أبلغ من مظهر الأداة، لتحقيق هذه الصفات فيه أكثر[1].

و قد قسم ابن الأثير التشبيه إلى اعتبارات مختلفة، و في كل مرة يفرع القسمة إلى اشكال مختلفة ايضا، وتأتي بعض الشواهد النبوية داخل هذه التقسيمات، فمن القسم الثالث من أقسام التشبيه مضمر الأداة، و هو ما « يقع موقع المبتدأ و الخبر جملتين » [2]، و هذا القسم متوسط في تقدير أداة التشبيه[3]، و هو من تشبيه المركب بالمركب، يأتي الحديث الذي يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه و منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: « **أمسك عليك هذا، و أشار إلى لسانه، فقال معاذ: أو نحن مؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، و هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم** »،

قال ابن الأثير: « فقوله(حصائد ألسنتهم) من تشبيه المركب بالمركب، فإنه شبه الألسنة و ما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الارض »[4].

[1] المصدر نفسه ، ص129.

[2] المصدر نفسه ، ص123..

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (ج2/ 124).

[4] ابن الاثير، **المثل السائر**، ص 144.

6- الإستعارة:

الإستعارة لغة: جاء في تهذيب اللغة: « **العارية منسوبة إلى العارة، و هي اسم من الإعارة. يقال: أعرته الشيء أعيره أعاره و عاره... و التعاور: شبه المداولة و التداول في الشيء يكون بين اثنين... و التعاور و الإعتوار: إن يكون هذا مكان هذا، و هذا مكان هذا** »[1].

الإستعارة في الاصطلاح:

تختلف تعريفات الإستعارة اصطلاحا عند القدماء، إلا أنها تركز على وجود نقل من معنى وضعي إلى معنى مجازي، حتى أتى السكاكي فعبر عنها و بينها إ يقول: « **هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه و تريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به** »[2].

وتأتي الإستعارة في المثل السائر في مطلع أنواع الصناعة المعنوية، و هي من الأوصاف العامة للفصاحة و البلاغة.

و تعريف الإستعارة عند ابن الأثير في قوله: « **نقل المعنى من لفظ إلى لفظ للمشاركة بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه**»[3]، و نلاحظ في تعريفه تركيزه على نوع من أنواع الإستعارة و هو الإستعارة المكنية،

[1] الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج3، ص 105.
[2] السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص 369.
[3] سماح الوهيبي، **بلاغة الشاهد النبوي و النثري في كتاب المثل السائر**، ص 108.

و حصل هذا أيضا في موقف آخر في تعريفه للتشبيه المحذوف: قال فيه: « **أن يذكر المشبه دون المشبه به، و يسمى استعارة**»[1].

في حين أنه يؤكد على أهميه التناسب في الإستعارة، ذكر الإستعارة التصريحية، يظهر لنا هذا في قوله: « **الإستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له، فإنها لا تجيء إلا ملائمة و مناسبة، و لا يوجد فيها مباينة و لا تباعد، لأنها لا تذكر مطوية إلا لبيان المناسبة بين المستعار منه و المستعار له، و لو طويت و لم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه و المستعار له لعسر فهمها و لم يبن المراد منها**»[2].

يقف ابن الأثير موقفا وسطيا بين الآمدي في ميله إلى الإستعارة القريبة الواضحة، و بين عبد القاهر الجرجاني الذي يميل إلى جمال غموض الإستعارة و أغرابها و بعدها.[3]

إلا أنه يأتي برأي غريب، و هو ما يتعلق بالإستعارة في القران الكريم، إذ يرى أنها غير كثيرة، بالنسبة إلى التشبيه مضمر الأداة، و الذي يرى كثرته، ليس في القرآن فقط، بل في سائر الكلام الفصيح! و يبرر ذلك بأن: «**طي المستعار له لا يتيسر في كل كلام**»[4].

ثم إننا لا ندري ماذا يعني بهذا؟ هل يقصد أنها قليله بالنسبة لغيرها من الألوان البيانية؟، أو أنها قليلة مطلقا؟... فإذا كان قد قصد الرأي الأخير، ما قاله الزماني بشأن كثرة ما ورد في القران الكريم من الإستعارات يبطل رأيه، بعد أن عرض الزماني كثيرا منها في رسالته:(النكت)، إذا رجعنا إلى الشريف الرضي

[1] ابن الاثير، **المثل السائر**، ص 76.
[2] المصدر السابق، ص 75.
[3] احمد السيد الصاوي، **مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين و النقاد والبلاغيين**، ص99
[4] ابن الاثير، **المثل السائر** ، ص 119.

في كتابه:(تلخيص البيان في مجازات القرآن) وجدناه يجند كتابه لحشد منها غير قليل على سبيل المثال لا الحصر.[1]

و نجد ابن الأثير قال هذا الرأي سيرا على رأي بعض المتقدمين ممن يرى أن التشبيه في المنزلة العالية من البيان، و ربما أخذ هذا الرأي من بعض المفسرين ممن كرهوا القول بالمجاز في القران الكريم، و تكلفوا في إخراجه على وجوه أخرى.

الشواهد النبوية:

يصدق في الإستعارة ما قيل في التشبيه من أنها نوع من الإيجاز، و لذا فقد جاءت بعض شواهدها في(فصل جوامع الكلم)، في مقدمة المثل السائر، فيوم حنين، يوم عظيم من أيام الله، حين اشتدت وطأة الكفار على المسلمين، و كانوا بعدتهم و عتادهم و كثرتهم، و المسلمون بقلتهم و ضعفهم، حتى جاءهم مدد السماء فكان النصر المبين، و في غمرة الأهوال يصف الرسول صلى الله عليه و سلم المشهد بقوله: **«الآن حمي الوطيس»**.[2]

ويذكر ابن الأثير جوامع الكلم من حديثه- عليه الصلاة و السلام- منها ما يأتي على حكم المجاز، و منها ما يأتي على حكم الحقيقة، و يستدل بهذا الحديث على ما جاء على حكم المجاز، و يشير إلى سبقه صلى الله عليه وسلم إلى هذا التعبير البليغ، لم يسمع من أحد قبله، كما لو حاولنا أن نأتي بمجاز يقوم مقامه لما

[1] احمد السيد الصاوي، ص101

[2] سماح الوهيبي، **بلاغه الشاهد النبوي والنثري في كتاب المثل السائر**، ص110.

بلغنا ما فيه من صوره يتخيل المتلقي أنه يراها في حميها و توقدها و اشتعالها، و هذه الصورة أوحى بها(الوطيس)، و الذي هو التنور و مجتمع النار و التهابها.[1]

و ابن الأثير هنا لا يوضح لنا ما الذي حذف؟ و ما القرينة؟ و ما نوع الإستعارة؟ بل لم يبين على أنها استعارة، فمصلحته في هذا الفصل الكشف عن حمل عدد قليل من الكلمات للمعنى الغزير في صورة تخيل للسامع على أنها حية أمام عينيه.

الشواهد النثرية:

يكتفي ابن الأثير في الإستعارة بمطابقة الشاهد مع الحد الذي وضعه، و من الشواهد النثرية في ذلك قول العرب: « **لا مرحبا باللجين أجل و محل** »[2]، إذ يكتفي ابن الأثير فيه بذكر أنه جاء على طي المستعار له.

و اللجين هو الفضة، و أريد به الهلال، على سبيل الإستعارة التصريحية، و هي أصليه و مجردة،ان القرينة ملائمة للمشبه. و نجد في مبحث الإستعارة دائما خطبة الحجاج بن يوسف، ذلك أنه خطب خطبة عند قدومه العراق في أول ولايته إياه، و الخطبة مشهورة، حيث قال : « **إن أمير المؤمنين نثر كنانته، و عجمها عودا عودا، فرآني أصلبها نجارا، و أقومها عودا و أنفذها نصلا، فقوله: « نثر كنانته، و عجمها عودا عودا** ».[3]

[1] ابن الاثير، **المثل السائر**، ص 117.

[2] سماح الوهيبي، **بلاغه الشاهد النبوي والنثري في كتاب المثل السائر**، ص 114

[3] ابن الاثير، **المثل السائر**، ص 103.

يستحسن ابن الأثير هذه الإستعارة و يشرحها بقوله: «**يريد أنه عرض رجاله، و اختبرهم واحدا واحدا جد اختباره، فرآني أشدهم و أمضاهم، و هذا من الإستعارة الحسنة الفائقة**».[1]

كما يرى في تعريف الإستعارة أنه لا يذكر الإستعارة التصريحية، و لكنه يذكرها في الحديث عن المناسبة في الإستعارة، كما تأتي بعض الشواهد عليها، كما يأتي بما هو تشبيه مضمر الأداة أحيانا، و هو في الإكتفاء استعارة مكنية متأثرا بالقاضي الجرجاني، إذ أنه يقول: «**و إنما الإستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل** ».[2]

كما أن تعليقه على الشواهد جاء ضعيفا، و دائما يكتفي بالإشارة إلى مكان الإستعارة فقط، و قد جرى هذا المنهج على الشواهد الشعرية، بل إنه لم يستدل من كتاباته إلا بنص واحد، أما الشواهد القرآنية– فهي و إن كانت قليلة– إلا أنه كان يستعملها بعدد لا بأس به، و لابن الأثير فيها لمحات جميلة، كما أن استدلالاته في جميع الأنواع كانت قليل'، و لعل هذا يرجع إلى الرأي الذي طرحه من قلة وجود الإستعارة في القرآن الكريم و الكلام الفصيح.

7– الإلتفات:

يعتني ابن الأثير بالإلتفات كسائر المهتمين بالبلاغة، فجعله: «**خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، و إليها تستند البلاغة و عنها يعنعن** »[3].

[1] المصدر نفسه ، ص 104.

[2] القاضي الجرجاني، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ص 41.

[3] ابن الاثير، **المثل السائر**، ص 181.

و الالتفات لغة من لفت، يقال: «**لفت وجهه عن القوم: صرفه، و التفت التفاتا، و التلفت أكثر منه، و تلفت إلى الشيء و التفت إليه** »[1]، أما الإصطلاح فقد اختلف تعريفه لاختلاف العلماء فيه.

و قد عرف الإلتفات أسلوبا بلاغيا منذ الجاهلية، لكن من أوائل من أطلق عليه هذه التسمية هو الأصمعي، و قد عني قبله عدد من اللغويين بدراسته في مؤلفاتهم، لكن دون أن يضعوا له تسمية، كأبي عبيدة في مجاز القرآن، و الفراء في المعاني، و المبرد في الكامل، و غيرهم، و حسب رأي ابن الأثير فإن هذه الآلية الإبلاغية تساعد على التنويع في الخطاب باستعمال الضمائر و الأزمنة، و ذلك لتحقيق التفاعل بين المبدع و المتلقي، و هذا الإختلاف في الضمائر و الأزمنة يضع السامع وسط الأحداث و يتفاعل معها بدلا من شعوره بالملل من ضمير واحد و زمن واحد.

و قسم ابن الأثير الإلتفات إلى ثلاثة أنواع:

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، و من الخطاب إلى الغيبة، و قال فيه الزمخشري: أنه يستعمل للتفنن في الكلام و الإنتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطرية لنشاط السامع، و إيقاظا للإصغاء إليه.[2]

القسم الثاني: بالرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، و عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل و عن المستقبل بالماضي.[3]

القسم الأول فقد اختص بالإلتفات الضمائري، بينما اختص القسم الثاني و الثالث بالإلتفات الزمني.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ص84.

[2] ابن الاثير ، **المثل السائر** ، ص135.

[3] المصدر نفسه ، ص 135.

فقد وضع ابن الأثير عدة أمثلة للإلتفات، أغلبها من القرآن الكريم، مثال ذلك قوله تعالى:﴿**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اياك نعبد واياك نستعين.**﴾[1]، فهنا انتقل استعمال الضمير من الغيبة في: " **الحمد لله رب العالمين" إلى الخطاب في قوله تعالى: " إياك نعبد وإياك نستعين"** ، و من أمثلة الرجوع من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة، و أنا ربكم فاعبدون، وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون** ﴾[2]، حيث انتقل هنا من الخطاب في قوله: " **امتكم، ربكم**" إلى استعمال الغيبة في قوله: " **أمرهم بينهم**"،" **راجعون**" باستعمال الضمير"هم" نلاحظ هنا أن الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة، يأتي معه تغييرا في الضمائر و لهذا التبدل الموقعي النوعي دور حجاجي إذ " أن هذا التغيير في نوع الضمائر مع بقاء الملتفت عنه واحدا لا يتغير، ليس لمجرد الإفتنان في الكلام و ليس هو لتطرية السامع و تجديد نشاطه فحسب، و إنما هو كذلك، و ربما أساسا لتوريط هذا السامع و الزج به في القضايا التي يتناولها الخطاب و لجعله طرفا فيها مع نيا بها"[3].

أما القسم الثاني من أمثلته الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر:

[1] سورة **الفاتحة**، الآيات:2-3-4-5.

[2] سوره **الأنبياء**، الآية: 92- 93.

[3] عبد الله صولة، **الحجاج في القران الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، جامعه منوبة، كليه الآداب، تونس، 2001، ص 526- 527.

و مثال ذلك قوله تعالى:﴿**قالوا يا هود ما جئتنا ببينة و ما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، و ما نحن لك بمؤمنين أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله و اشهدوا أني بريئ مما تشركون**﴾[1]، فقد انتقل الخطاب الإلتفاتي من المضارع المستقبل " **أشهد** " إلى فعل الأمر " **اشهدوا** ".

و ما نجده في هذا السياق كذلك الرجوع من الفعل الماضي إلى فعل الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿**قل أمر ربي بالقسط و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون**﴾[2]، و حدث هنا الإتقال من الفعل الماضي " **أمر**" إلى فعل الأمر " **أقيموا "و " ادعوه** "، و سياق الخطاب اشترط هذا الإنتقال للتنبيه و الإلتفات إلى أهميه الصلاة، كما قال ابن الأثير: "**و كأن تقدير الكلام أمر ربي بالقسط، و بإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله تعالى على عباده ثم اتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية** "[3].

أما ما جاء في القسم الثالث من الإلتفات بالإخبار عن المستقبل بالماضي، و بالفعل الماضي عن المستقبل، و نمثل له بذلك في قوله تعالى: ﴿**والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**﴾ [4].

---

[1] سوره **هود**، الآية: 53- 54.

[2] سوره **الأعراف**، الآية: 29.

[3] ابن الأثير، المثل **السائر** ، ص 145.

[4] سوره **فاطر**، الآية 9.

فقد ورد في بداية الآية " **أرسل** " في الزمن الماضي، أما الفعل الثاني فهو: " **تثير** " بزمن المستقبل، ذلك لأن المستقبل هو الذي يصور للقارئ تخيل حال الرياح المثيرة للسحاب، و كأنه حاضر أمامها، و قد عبر ابن الأثير عن هذا التفاعل في الإلتفات الإبلاغي بقوله: " **أعلم أن الفعل المستقبل إذا أوتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، و ذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، و يستحضر تلك الصورة حتى كان السامع يشاهدها و ليس كذلك الفعل الماضي**"[1]. و التخيل يقع كذلك مع الفعل الماضي، إلا أنه مع الفعل المستقبل أوكد و أشد، لأنه يستحضر صورة الفعل سامع حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه .[2]

فالفعل المستقبل يقنع المتلقي باستحضار الصورة و كأنها حاضرة، أما الفعل الماضي يقنع القارئ على وجود الفعل و تحقق حدوثه.

8- الإيجاز و الإطناب:

و تحدث عنهما ابن الأثير كما تحدث من قبل عن التشبيه بما لا يخرج عما ندرسه في قواعد البلاغة الآن، و لا عجب في ذلك فقد كان معاصرا للسكاكي واضع علوم البلاغة و يمتاز و هو بعدم الجفاف الذي شاع عند السكاكي، فقد أحيا نظرياته النقدية بالشواهد الكثيرة الرائعة و بالتحليل و الموازنة و حسن العرض.

[1] ابن الأثير، المثل **السائر**، ص 145.

[2] المصدر نفسه ، ص 1

أولا– الإطناب: إن الإطناب آلية بلاغية، يستدل بها على تأكيد الكلام تقوية الحجة و الزيادة في حضور المعاني في ذهن المتلقي، و قد أظهر ابن الأثير دور الإطناب بلاغيا، حيث قال, " **و بعد أن عممت النظر في هذا النوع الذي هو الإطناب وجدت ضربا من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصدا للمبالغة** " .[1]

و قد فرق في هذا السياق بين الإطناب و آليات إبلاغية أخرى كالتطويل و التكرار، فأعطى لكل مصطلح مفهوما خاصا به، و بين ذلك بقوله: " **الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حده الذي يميزه عن التطويل الذي هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة، أما التكرير فإنه دلالة على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع، فإن المعنى مردد و اللفظ واحد** " .[2]

و بهذا فإن الإطناب عند ابن الأثير هو الأكثر فائدة في إيصال المعنى إلى المتلقي، و حقيقة معنى الإطناب عند ابن الأثير هو المبالغة أخذا له من الأصل اللغوي: من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، و يقال أطنبت الريح، إذا اشتدت في هبوبها، و أطنب في السير إذا اشتد فيه، و من ثم فإن حد الإطناب عنده هو: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

و عدد ابن الأثير أضربا للإطناب هي:

[1] ابن الأثير، المثل **السائر** ، ص 281

[2] المصدر نفسه ، ص 1

-القسم الأول: الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام، و مثل له بأمثله عديدة، منه قوله تعالى: ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم و تقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم** ﴾.[1]

فصرح تعالى في هذه الآية من تعظيم الأمر المقول و جاء في سياق الإفتراء و الإفك، و من ثم عظم الأمر، و لذلك جاء زيادة اللفظ و إن كان المعنى واحدا قصد التأكيد، فذكر تعالى: " **تلقونه بألسنتكم** "، **ثم** " **تقولون بأفواهكم** " و لا يخفى على المتدبر ما لهذا الإطناب في الجملة الواحدة من تأكيد و دلالة على المعنى المراد.

-و القسم الثاني: و هو المختص بالجمل و يشمل أربعة أضرب و هي:

- أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة، إلا أن كل معنى يختص بخاصية ليست للآخر، و مثال ذلك قول أبي تمام:

زكي سجاياه تضيف ضيوفه و يرجى مرجيه و يسأل سائله[2]

فإن غرضه من هذا القول إنما هو ذكر الممدوح بالكرم و كثرة العطاء، إلا أنه وصفه بعدة صفات، فجعل ضيوفه تضيف، و راجيه يرجى، و سائله يسأل، و ليس هذا تكريرا حسب رأي ابن الأثير.

- و الضرب الثاني: و يسمى النفي والإثبات" و هو أن يذكر الشيء على سبيل النفي، ثم يذكر على سبيل الإثبات أو العكس، و لابد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر أو يكون تكريرا، و الغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود".[1]

---

[1] سوره **النور**، الآية: 15

[2] ديوان أبي تمام، من قصيدة له في رثاء القاسم بن طوق، عن المثل السائرج2، ص 286.

و ضرب ابن الأثير أمثلة لهذا النوع بآيات قرآنية، و منها قوله عز وجل:﴿**وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون**﴾[2] فقوله تعالى:" **يعلمون**" بعد قوله: " **لا يعلمون**" من هذا الباب، ألا ترى أن الله تعالى نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا، أنهم علموا و ما علموا، العلم بظاهر الأمور ليس بعلم، و إنما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور.[3]

– و الضرب الثالث: و هو أن يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج إلى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه، و مثال ذلك قول البحتري:

ذات حسن لو استزادت من الحســـــن إليه لما أصابت مزيدا

فهي كالشمس بهجة و القضيب اللدن قدا و الريم طرفا وجيدا

ألا ترى أن الأول كاف في بلوغ الغاية في الحسن، لأنه لما قال: " **لو استزادت لما اصابت مزيدا**" دخل تحته كل شيء من الأشياء الحسنة، إلا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا و تخييلا لا يحصل له من الأول، و هذا الضرب من أحسن ما يجيء في باب الإطناب.[4]

---

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 287.

[2] سوره **الروم**، الآيات:6-7.

[3] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 288.

[4] المصدر نفسه، ص 289

-و الضرب الرابع: و هو أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو شعر، و قد قال ابن الأثير بأنه من أصعب الضروب الأربعة طريقا و أضيقها بابا، و قد مثل له بقوله تعالى: ﴿ **فيها من كل فاكهة زوجان** ﴾.[1]

كجانب إيجازي و إعجازي، ثم قابله بنص له وصف فيه أنواع الثمار والفواكه و هو فصل له من كتاب أنشأه في وصف الجنان المثمرة و الرياض المزهرة، و أطلق على وصفه ذاك أنه صورة من صور الإطناب لأنه لم يعط أي فائدة[2]، فالأسلوب القرآني الموجز عبر عن التنوع في صنوف الفواكه بالبستان بألفاظ قليلة و هي خاصية أسلوبية قرآنية متفردة، إلا أن الإطناب في وصف ابن الأثير فيه تأكيد لتعدد الفواكه بذكرها المفصل، و إحصاء أنواع الثمار مما يعطي للإطناب دوره في الإقناع وحسن الإبلاغ.

ثانيا– الإيجاز: الإيجاز لغة من: وجز الكلام وجازة و وجزا، و أوجز: قل في بلاغة، و أوجزه: اختصره.[3]

الإيجاز إصطلاحا: إندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل.[4]

و تواطأ أهل البيان على تفضيله، بل عرفت البلاغة به في بعض الأحيان، فهذا أكثم ابن صيفي في خطبة له يقول: « **البلاغة الإيجاز** ».[5]

---

[1] سوره **الرحمن**، الآية: 52.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 291.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ص 427.

[4] بدوي طبانه، **معجم البلاغة العربية**، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ، 1982م، ص 309.

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، ص 281.

و من حفاوة العرب بالإيجاز ذهبت إلى التخفيف و الحذف، فقد كانت تفضل قصر الممدود على مد المقصور، و تسكين المتحرك على تحريك الساكن، و لم تكن تذم الإيجاز أو تقدح فيه.[1]

فالإيجاز من أهم مباحث البلاغة، لا تخلو من هذا الباب، و هو عند ابن الأثير النوع الخامس عشر من أنواع الصناعة المعنوية، و يرى أنه لا يتأتى لأي من كان. و حد الإيجاز عند ابن الأثير:« **دلالة اللفظ على المعنى، من غير أن يزيد عليه** »[2]، و في موضع آخر يزيد على هذا الحد شرط الإيضاح و الإبانة.[3]

و يلمح ابن الأثير إلى أن الإيجاز هو حذف زيادات الألفاظ، و مدارة على المعاني، لا إهمالا للألفاظ، و إنما المقصد أن النظر في هذا الباب للمعاني، فقد يدل لفظ قليل على معنى كثير، في حين يدل لفظ كثير على معنى قليل.[4]

و يستنبط هذا من عدد من الشواهد النبوية، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **سورة الإخلاص تعدل ثلث القران** »[5]، ثم إنه في أحد المرات سأل النبي صلى الله عليه وسلم أبي كعب رضي الله عنه

[1] المصد السابق، ص 238.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص 307.

[3] سماح الوهيبي، **بلاغة الشاهد النبوي و النثري**، ص 52.

[4] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 303.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، **كتاب فضائل القران**، باب فضل: قل هو الله أحد، ص 189.

فقال: « **أي آية معك في كتاب الله أعظم؟ فقال:(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، فضرب في صدره، و قال: ليهنك العلم أبا المنذر** »[1].

و ينقسم الإيجاز عند ابن الأثير إلى قسمين، و القسم الثاني منهما إلى فرعين، فالقسم الأول:« الإيجاز بالحذف، و هو ما يحذف منه المفرد و الجملة، دلالة فحوى الكلام على المحذوف، و لا يكون إلا فيما زاد معناه عن لفظه، و القسم الآخر: ما لا يحذف منه شيء، و هو ضربان: أحدهما: ما ساوى لفظه معناه: و يسمى التقدير، و الآخر ما زاد معناه عن لفظه، و يسمى القصر ».[2]

و إيجاز التقدير هذا هو ما يعرف عند غيره بالمساواة، لكنه أدخلها ضمن الإيجاز، و أما إنجاز القصر، فينسبه ابن الأثير لنفسه، و يقول إنه لم يكن لأحد سابق قول فيه.[3]

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، **كتاب صلاة المسافرين و قصرها**، باب فضل، سوره الكهف وايه الكرسي، ص 810.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 312.

[3] المصدر نفسه ، ص 312.

– المبحث الثاني: قضايا نقدية

1– القدم و الحداثة :

لقد جاء حديث ابن الأثير في إشارة واضحة بأن المعاني موجودة في الطريق... لكن تحتاج إلى صناعة و صياغة حيث ينفي قول من قال إن المعاني قد استنفذت من قبل القدماء و لم يبق شيئ ذا بال، يقول ابن الأثير: « **و الصحيح أن باب الإبتداع مفتوح إلى يوم القيامة، و من الذي يحجر على الخواطر، و هي القاذفة بما لا نهاية له...**» [1]

و قد نجد نظرة أخرى لابن الأثير حينما يقسم المعاني فيرى قسمها الأول هو الكلام الذي ينتجه المؤلف من غير يسيق فيه، و الأمر الثاني هو ما يحتذى فيه ممن سبقه الطريق و المنهج. يقول في ذلك: « **أحدهما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه لمن سبقه...**»[2] « **و الآخر يحتذى فيه على مثال سابق و منهج مطروق..** »[3]

و حول هذه القضية آراء كثيره، هناك من أيد السبق إلى المعاني الجديدة ، هناك من رأى غير ذلك حيث يرى أن القدماء قد سبقوا إلى كل معنى جديد مبتكر.

[1] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص 343.
[2] المصدر نفسه، ص 303.
[3] المصدر نفسه، ص 335.

يصرح ابن طباطبة(345هـ عندما يتكلم عن هؤلاء الشعراء الذين زمانهم، و عاش في عصرهم: « **و المحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم سيقوا إلى كل معنى بديع و لفظ فصيح** »[1] .

إلا أن هناك آخرون قالوا إن القدماء قد استنفذوا المعاني و وقفوا عليها، و منهم قول القاضي الجرجاني في الوساطة حيث يقول: « **لان من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها اتى على معظمها**»[2] و لعلنا نقف على ظاهر القديم و الحداثة للإشارة إلى اللغويين الذين نهج نهجا في مسارها العلمي، عندما اتصلوا بالنص الشعري و النظر إليه من حيث الإبتكار و التجديد في بعض مكوناته، و من هنا سار النقاد على أثرهم و نهجوا طريقهم، حيث رسموا طريقا و قدموا شروطهم الواقع الثقافي و الفكري، حيث التزم النقاد بالطريق الذي نهجه اللغويون، قال أحد الباحثين هذه الفكرة: « **لم يحاول احد من النقاد الانحراف عن هذه الطريق** »[3] و لم يقف ابن الأثير في قضية القدم و الحداثة على موقفه الأول و لكن له رؤية أخرى حاصلة بعد التطور و الإستمرار في البحث و الدرس. حيث يرى خلاف ما رأوه الكثير ممن اعتمدوا على الزمان. لأنه يرى بأنهم أهملوا و ما هو أولى و أحق، و ارتبطوا بما هو دون ذلك في الأهمية في هذا المجال حيث أنه يرى بأن حال المفاضلة هو داخل النص لا غير و قد ذكر معايير المفاضلة و أساس التمييز بين الكلام جيد'

[1] العلوي بن طباطبا، **عيار الشعر**–تحقيق: عباس عبد الساتر، م. نعيم زرزور، ط2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2005ص 15.

[2] الجرجاني القاضي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم علي محمد البيجاوي، المكتبة العصرية ، ط1 ، بيروت ، 2006، ص 185.

[3] ضيف أحمد، **مقدمه لدراسة بلاغه العرب**، مطبعه القاهرة، ط1، 1921، ص 160

من رديئة، حيث يقول: « **فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين: الفصاحة– البلاغة الذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ و المعاني، فمتى و جدا في أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أخص به من الآخر حكم لهما بالفضل** »[1] .

و في هذه الإشارة نجد ابن الأثير يقف عند أهميه النص في الكشف عن كوامن أسرار الفنية الإبداعية، دون الرجوع إلى الزمن الذي أنتج فيه هذا النص الإبداعي و أن يكون الحكم على النص من النص ذاته.

و قد نجد هذا الأمر عند المنهج البنيوي الحديث الذي يهتم بمكونات النص الداخلية و لا علاقة للباحث أو الناقد خارج النص.

و لهذا فإن الإبداع و الإبتكار عند ابن الأثير ليس حكرا على أحد و لا مقصور على زمن ما، و قد لخص مبدأه في قوله:« **لم أكن ممن أخذ بالتقليد و التسليم في اتباع من قص نظره على الشعر القديم، غذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ و الجزل و اللطيف، فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل** [2] »

لقد أنصف ابن الأثير الكثير من القضايا لدى المحدثين و الدفاع عنهم، و قد وجد هذا بارزا في كتابه الذي تناولناه ضمن بحثنا عن القضايا النقدية و مما يلفت النظر أنه درج الكثير من الشواهد التي تخص القدماء. و الشواهد التي تخص المحدثين أيضا، و مع ذلك فقد اهتم بذكر شواهد شعراء المحدثين ورد لهم

[1] ابراهيم طه، **تاريخ النقد عند العرب**، ص156.

[2] ابن الأثير ، **المثل السائر**، ص348

اعتبارهم، و شيئا مما غفل عنه الكثير من النقاد، و نجده يقدم شعر أبي تمام و يعطيه مكانة خاصة من الإعجاب و الإهتمام رغم خروج الشاعر عن عمود الشعر العربي، الذي جعله الكثير إطارا فنيا لا يجب الخروج عليه و يمكننا أن نورد تصريح.

يقول الآمدي في الموازنة مدعما اتجاه ابن الأثير الذي أشرنا إليه فيما سبق: « **و رغم أنه زاوج بين شواهد القدماء و المحدثين، إلا أن توظيفه لشعر المتأخرين فيه الكثير من رد الإعتبار لهم، و يبدو أن ابن الأثير و هو يعرض آراءه النقدية و البلاغية قد وجد في شعرهم ما أسعفه فأمده بالأمثلة و الشواهد خاصة شعر أبي تمام الذي حل من ناقدنا محل الإعجاب رغم خروجه الواضح على طريقة العرب القدماء، و ما لحقه إثر ذلك من انتقاد لاذع**»[1]

لقد اجتهد ابن الأثير فلم يتعصب للقديم و لم يبالغ في الإعجاب بالحداثة، فلقد وجد الكثير من القيم الأدبية و الفنية عند المحتافين ، كما وجد قيم ابداعية أيضا لدى القدماء من الشعراء التي لا يستهان بها. لأن رؤيته هذه جاءت بعد نظر و دراسة و ذوق، و عدم الأخذ بالأحكام السابقة إلا بعد تجربة فاحص' نافذة إلى هذه العلوم الأدبية و النقدية و البلاغية و ما دام لكل عصر شعراؤه و مبتكرو فنونه الأدبية و النقدية، فلا شك في أنهم يقدمون و يبتكرون و يحددون في الأساليب و الطرق و يحدثون فنونا المجال العلمي و لذلك يقول ابن الأثير: «**إني لم أعدل إليهم اتفاقا، و إنما عدلت إليهم نظرا و اجتهادا و ذلك**

[1] الآمدي الحسن ابن البشير، **الموازنة بين شعر ابي تمام و البحتري**، تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعارف، القاهرة ط4، ص17

أني وقفت على أشعار الشعراء قديمه و حديثه فلم أجمع من ديوان أبي تمام و أبي الطيب معاني الدقيقة و لم أجد أحسن تهذيبا للألفاظ من أبي عبادة فاخترت حين إذ دواوينهم...[1]

فقد استلهم ابن الأثير في بلورة موقفه من هذه القضية القدم و الحداثة من تطورات الشعر العربي ضمن سيرورته التاريخية الفكرية و الثقافية و قد تبلور هذا الموقف في دعوة ناقدين للمحدثين بالتخلي عن تقليد الشعر العربي، حيث استنكر من يلجأ إلى التعابير الغامضة و المعقدة و يؤثر الألفاظ الغريبة و الوحشية أو ما يسمى بالمعجم اللفظي ما قبل الحياة الإسلامية.

و لذلك نجده يقول حول هذه الفكرة: «**ما بال قوم سكنوا الحضر و وجدوا رقة العيش يتعاطون وحشي الألفاظ و شطف العبارات.**[2]

فابن الأثير في هذا الموقف يحدد مجاراة العصر و ضرورته منهجا و مضمونا، و هو في ذلك يساير كل تقدم حضاري تتطلبه المسائل الفكرية والثقافية.

و لذلك هو يساير الواقع الفكري الحضاري الذي يسعى إلى الإبتكار و التجديد، و لم يستسلم إلى التقليد و الجهود، و لذلك نجد الكثير ممن خاضوا هذا المجال يؤكدون صدق هذه الحقيقة قال أحدهم: "**المغالاة في التقليد تقود إلى الإنفصال عن الواقع المعاش...**" [3] و قد تجاوز ناقدنا الفذ هذه النظرة التي تولي الإهتمام بالمحدثين و رد الإعتبار لهم، لكن إلى النظر في شعر المتقدمين و نقده و إعطاء الأحكام

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ص 350

[2] المصدر نفسه، ص172.

[3] المصري محمد عبد الغني، **نظرية ابي عثمان ابن بحر الجاحظ في النقد الادبي**، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط1987، 1، ص56

النقدية حوله بخلاف ما نجده من هالة تقديس و إفراط في الإعجاب لهم، فهو يرى أن الجميع في مجال النقد سواء فأما الإستحسان و القبول و أما الإنكار و الرفض، و هو يدفع بالقارئ إلى أن ينظر إلى النص، و ليس خارجه، فالنص نحكم عليه أوله. يقول في هذا المضمار:

رآني بعض الناس أعيب امرؤ القيس... فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة التقليد في أن امرؤ القيس أشعر الشعراء فعجبت من ارتباطه بهذه الشبهة الضعيفة و قلت: لا يمنع إحسان امرؤ القيس من استقباح ما له من القبح، و مثال هذا: اسالي غزال المسك فإنه يخرج من المسك و البعر و لا يمنع طبيب ما يخرج من مسكه من حيث ما يخرج من بعره[1].

هنا ابن الأثير يركز على أمر مهم و هو ألا ننظر إلى الشهرة و تكون هذه عن زيغ أو انحراف أو عاطفة مهما كان إطارها. و لهذا فهو يؤكد بأن تكون العبرة بالنص لا بالكاتب و بشهرته حينما ننظر إلى شهرة الشاعر و هذا أمر يؤدي إلى بعض الإنحراف عن المصداقية و الموضوعية في البحث العلمي الصارم الجاد، و في هذا السياق نجد محمد زكي العشماوي يؤيد هذا الرأي بقوله: **"الشعر الذي امامنا هو موضوع القيمة الفنية لا الشاعر نفسه ولا حياته..."**[2]

و بهذه الرؤيا الأصيلة و الطرق الصائبة في نقدنا العربي يمكن أن نقول أن ابن الأثير قد ساهم في بناء الحكم النقدي المعتدل و الموضوعي، لأنه ابتعد عن الأحكام العاطفية و التقليدية التي تعمم في كثير من الأحيان في نقدنا القديم. و البعوض عن التعاطف مع السواء.....

[1] ابن الأثير ، **المثل السائر**، ص 192

[2] العشماوي محمد زكي، **قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 22

و لهذا نجده يعارض مواقف و آثار القديم و يدعو إلى الإبتكار و التجديد بما تفرضه الحاجة الفكرية و الثقافية و الحضارية للإنسان الشاعر و محاولاته إلى تحديث الكثير من المسلمات الفكرية و الثقافية لأنه على يقين بأن مجال الأدب و طبيعته يحتاج إلى تطور و رقي و أنه يسعى إلى الخروج و الإنزياح مما يتناسب مع خصائصه العلمية و هذا ما يؤدي إلى عدم الإستقرار و من ثم التجديد و الإبتكار حسب الأطر الفكرية و الثقافية لكل زمن.

2- اللفظ و المعنى:

لقد شغلت قضية تفكير الكتاب و النقاد منذ بدايات التأليف في المنهج النقدي و البلاغي، أي منذ ظهور صور النقد و أشكاله في العصر الجاهلي، و قد يجد القارئ الكثير من معايير الأحكام في هذه الفترة التي صدرت عن الذوق و الخبرة و الموهبة، و قد أشار الكثير إلى هذا الإتجاه في الحديث الذي تحاكم فيه الزيرقان بن بدر و عمرو بن الاكثم و المخيل السعدي إلى ربيع ابن حذار الأسدي الشعر.[1]

و من خلال النظر و معنى هذا الحكم النقدي نجده يقف على حسن الصياغة و تخيل اللفظ مع مراعاة مقامات الكلام للسياق، و لهذا كان الكاتب أو الناقد يتوخى الغوص في البحث عن اللفظ و المعنى في دلالتهما قيمة النص الأدبي.

و لذلك اجتهد ضياء الدين في تحديد طابع النص الأدبي عن غيره، سعيا لاتخاذ منهج نقدي أدبية النص. و غير الأدبية التي تتعلق بنصوص يومية كثيرة.

[1] احسان عباس، **تاريخ النقد الادبي**، ق2هـ الى ق8، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ينظر المقدمة

و قد لجأ أوائل نقادنا في الخوض في هذا الجدل الذي البحث عن إبداع النص. و لهذا نجد حركة التأليف النقدي اهتمت بهذا المنحى و هو البحث عن آليات التي يتضمنها النص الإبداعي الجيد و لذلك اهتم ابن قتيبة 876 هجري في قضية اللفظ و المعنى، حيث قسم الكلام إلى اضرب أو ما يمكن أن نقول عند أوصاف الكلام حيث قال:

– ضرب حسن لفظه وجاد معناه.... وضرب حسن لفظه وحلا

– وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه.....[1]

و قد سار نقاد القرن الرابع الهجري على هذا المنهج مع اختلافهم في معايير الجودة و الرداءة للنص الأدبي و هكذا يرى هؤلاء الباحثين أن لا انفصال بين أحد أطراف هذه القضية، لأن اللفظ جسم و روحه المعنى ابن رشيق القيرواني 456 هجري يصرف قائلا: "**إن أي خلل في أحد الأركان يؤثر سلبا على بناء النص الإبداعي الأدبي. لأنه عبارة عن وحدة مترابطة الأجزاء متظافرة العناصر، إذ يقول: « اللفظ جسم و روحه المعنى، و ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه و يقوى بقوته »**[2]

و هذه الرؤية هي التي منحت تظافر الجهود حول هذه القضية و استكشاف أهميه الأطراف في بناء النص الأدبي، و أن أي زيغ أو انحراف يصيب أحد الأطراف يؤثر مباشرة في مزية النص الأدبي، و خصائصه الفنية الموجودة في تميزه و جودته من نص إلى نص آخر.

[1] ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، ص64-69

[2] ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط5، 1981، ص 124.

و المتتبع لتاريخ النقد العربي يرى بأن الفكرة القائلة بارتباط اللفظ بالمعنى فكرة قديمة نشأت بنشوئه و لذلك نرى أن كتابنا الأوائل يركزون اهتمامهم بأن نظم الكلام هو سر الإعجاز، فقد قال الجاحظ قديما: « **المعاني المطروحة التي يعرفها البدوي و الحضري و العربي و العجمي**»[1]

و أن نظم الكلام الذي أشار إليه الجاحظ في درس الإعجاز، إنما هي إشارة إلى تلائم اللفظ بالمعنى و الصياغة المميزة، و على هذا الأساس نجد ضياء الدين قد استفاد منها في بلورة منهجي العلمي النقدي بعد ذلك. و في خضم هذا الجدل الفكري و الصراع النقدي نجده يهتم بالمعنى من خلال درسه النقدي، و قد حدد الكثير من المصطلحات حول هذه الإشكالية التي تولي العناية بالمعنى دون اللفظ حيث يقول: « **عمود المعاني ، شبكة المعاني، توليد المعاني**»[2]

و لكن المتفحص الجيد لرأي ضياء الدين ابن الأثير نجده لا يقصي اللفظ في حديثه و اهتماماته، و إنما جاء هذا من خلال كلامه عن المعنى الجيد و هذا ما يعني الصورة التي يأتي عليها النص الإبداعي الأدبي يقول إحسان عباس: « **و لهذا فإن جميع ما عبر به عن إعجابه بالمعنى لا يبلغ مستوى تعبيره الذي صور به شغفه باللفظ . حين قال: و كنت إذا مررت بنظرة في ديوان من الدواوين و يلوح لي فيه مثل هذه الألفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر و طربا كطرب الألحان**»[3]

و لهذا إن حديثه عن المعنى لا ينفصل عن الصيغ التي تجمع بين هذه الأطراف اللفظ و المعنى، و لهذا لم يكن ضياء الدين يعزل المعنى على اللفظ و الصياغة....

[1] احسان عباس، **تاريخ النقد الادبي**، ص18

[2] ضياء الدين ابن الأثير، **الاستدراك**، ص63 .

[3] احسان عباس، **تاريخ النقد الادبي** ، ص604

و لهذا عمل ناقضنا على تظافر هذين القطبين. و جعل منهما أداه الكشف عن أدبية النص إلى جانب أدوات أخرى كالأسلوب و الصياغة و هذا الراي يوافقه الكثير من كتابنا في هذا المجال يقول إحسان عباس:« **من الإنصاف أن نقول هنا أن ابن الأثير لا ينفك يرى المعنى مجسدا من خلال اللفظ** »[1]

و هذه الإشارة تؤكد ما ذهبنا إليه في تحليلنا أنه يحبب تلازم الطرفين ببعضهما تلازما دقيقا بارعا، و لذلك نجده يؤكد هذا حينما لم يستحسن قول المتنبي حينما أبدع في المعنى و أهمل اللفظ الملائم حيث يقول: « **و مما ابتدعه بإجماع في مدح عضد الدولة. إلا أن سبك هذا البيت قد شوهه و اذهب حلاوة المعنى المندرج تحته** »2.

3- الطبع و الصنعة:

لقد أثار نقاد العرب قضية الطبع و الصنعة، خاصة نقاد القرن الثالث الهجري من أمثال أبي عمرو الجاحظ و ابن قتيبة ثم توالت آثارها في القرون التي تلت فتناولوها بالشرح و الإيضاح و خاض في معالمها كثير من النقاد. و من بين هؤلاء الناقد الفذ ضياء الدين ابن الأثير في القرن السابع الهجري، و قد ظهرت هذه القضية النقدية ضمن طيات القضايا البلاغية التي خاضها هذا العالم الجليل في مؤلفه المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، و قد تكلم كاتبنا عن هذه القضية حيث يرى أن المبدع الشاعر الكاتب لا يتحمل

[1] المرجع السابق، ص612.

[2] ابن الأثير ، **المثل السائر** ، ص 317.

جهدا في طلب مادة إبداعيه، حيث يأتي الشعر و النثر بالطبع دون جهد أو تعمل، قال: « **إن سلمت اليك أن الشعر و الخطابة كانا للعرب بالطبع و الفطرة....** »[1].

و لهذا يرى ابن الأثير بأن المنظوم و المنثور كان عن ارتجال و فطرة طبع عليها الشاعر و الكاتب العربي فقد عرف " ابن قتيبة " هذا فقال: «**المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي و أراك في صدر بيته عجزه، و في فاتحته قافيته و تبينت على شعره رونق الطبع و وشي الغريزة، و إذا امتحن لم يتلعثم و لم يتزحر**»[2].

و قد اتفقا هذين العلمين على أن الطبع يأتي من عدم التكلف و البديهة، و التحرر من التعمل وإعمال الجهد، و قال إن الطبع من صفات العربي البدوي، كما كان لغير العرب صفات يتسمون بها. و لكن رأيه لم يقتصر على أهل البادية، و لكن هناك من أجادوا و برعوا في التأليف و نظم الشعر.

هناك فئة تكلم عنها ابن الأثير و هي فئة المولدين، و قد برعوا في هذا الإتجاه منهم بشار بن برد و السيد الحميري و أبو العتاهية: «**و قد وصف ناقدنا الطبع بالخفة كما وصف التطبع بالثقل، فالأول وصف حسن، و الثاني وصف قبح** »[3].

لقد أنكر التطبع الذي يقابل التكلف إذ يقول ابن الأثير: «**فإن الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة** »[4]. و لذلك فإنه يرى التكلف لا يليق بالشاعر لأنه يحمله على الصور الغريبة و القياسات الغير صحيحة

[1] المرجع السابق، ص284.

[2] ابن قتيبة، **السوء والسواء**، تحقيق: مفيد قميحة، المكتبة العالمية، ص37.

[3] محمد مولود الانصاري، **مجلد اصول الدين**، الطبع والصنعة عند ابن الأثير في المثل السائر.

[4] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص283.

في اللغة و من ثم يذهب برونق الشعر و مائه و يحمله على الإستهجان و عدم الإفهام خلاف ما في الصنعة من رونق يزين القصائد و يلبسها حلاوة و تزدان به..

و يرى أن الصنعة و الطبع لكل منهما خصوصية في بناء الكلام، لكن هما مما يسد حسن من الكلام إذا جاءنا في سماح و روية، بخلاف التكلف الذي يفتقد هذه المزية. و كثيرا ما يتكلم ضياء الدين عن الشاعر العربي بقوله: « **لا يهتدي الشاعر آليا استعمال صنعته يجيء له الشعر ما يأتي بطبعه لا بتكلفه**»[1].

و مما جعله شاهدا و أسمى عليه بأبيات لأبي نواس في باب لزوم ما لا يلزم، قال:(من الرمل)

اترك الأطلال لا تعبأ بها إنها من كل بؤس دانيه

واشرب الخمرة على تحريمها إنما دنياك دار فانيه

من عقار من رآها قال لي صيدت الشمس لنا في باطيه

فقال ابن الأثير: «**فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبي نواس في لزومه، و ما أغراه عن الكلفة، و كذلك فلتكن للألفاظ في اللزوم و غيره** »[2].

قال محمد مولود الأنصاري: «**فوصف الأبيات بأنها بعيدة عن التكلف الذي يعني رداءة اللفظ و سوء اختيار المعنى، و هذا يخالف الصنعة التي تعني تنقيح الشعر و ترتيبه و تثقيفه** »[3].

[1] المصدر السابق، ص283.

[2] المصدر نفسه، ص288-289.

[3] محمد مولود الأنصاري، **مجلة أصول الدين**، ص409.

4- الموازنة:

و هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، و أن يكون صدر البيت الشعري و عجزه متساويي الألفاظ وزنا.

و للكلام بذلك طلاوة و رونقا، و سببه الإعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء، و إذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الإستحسان، و هذا لا مراء فيه لوضوحه.

و هذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدال و زيادة على الإعتدال، و هي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد.

أما الموازنة ففيها الإعتدال الموجود في السجع، و لا تماثل في فواصلها، فيقال إذا: كل سجع موازنة، و ليس كل موازنة سجعا، و على هذا فالسجع أخص من الموازنة.

فمما جاء منها قوله تعالى: ﴿ **و آتيناهما الكتاب المستبين، و هديناهما الصراط المستقيم** ﴾[1]، فالمستبين و المستقيم على وزن واحد.

و كذلك قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام: ﴿ **و اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا** ﴾[2].

[1] سورة **الصافات**، الآيات: 117-118

[2] سورة **مريم**، الآيات: 81-84.

و أمثال هذا في القرآن كثير، بالمعظم آياته جارية على هذا النهجج، حتى إنه لا تخلو منه سورة من السور، فكله يتضمن السجع و الموازنة.

أما ما جاء من هذا النوع شعرا فقول ربيعة بن ذوابة[1]:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة ابن الحارث ابن شهاب

بأشدهم بأسا على أصحابه و اعزهم فقدا على الأصحاب

فالبيت الثاني هو المختص بالموازنة، فإن(بأسا) و(فقدا) على وزن واحد.

5- في أركان الكتابة:

هناك شرائط و أركان للكتابة أما شرائطها فكثيرة و قد جمعها ابن الأثير في كتابه هذا، فهي خمسة أكان:

- الركن الأول: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة و رشاقة، فإن الكاتب من أجاد المطلع و المقطع، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب. و لهذا باب يسمى باب(المبادئ و الإفتتاحات) فليحذ حذوه، و هذا الركن يشترك فيه الكاتب و الشاعر.
- الركن الثاني، أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذي بني عليه الكتاب: و قد نبهنا على طرف من ذلك في باب يخصه أيضا، و هو مما يدل على حذاقة الكاتب و فطانته.
- الركن الثالث: أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض، و لا تكون مقتضبة، و هذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب و الشاعر.

[1] ابن الأثير، **المثل السائر** ، ص 293.

-الركن الرابع: أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الإستعمال، و لا تكون ألفاظ غريبة، فإن ذلك عيب فاحش، بل أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس، و هي مما في أيدي الناس.

و هذا الموضع بعيد المنال، كثير الأشكال يحتاج إلى لطف و ذوق، و شهامة خاطر، و هو شبيه بالشيء الذي يقال أنه(لا داخل العالم و لا خارج العالم) فلفظه هو الذي يستعمل، و ليس بالذي يستعمل، أي أن مفردات ألفاظه هي المستعملة المألوفة، و لكن سبكه و تركيبه هو الغريب العجيب.

- الركن الخامس: أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم و الأخبار النبوية، فإنها معدن البلاغة و الفصاحة.

و هذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر، لأن الشاعر لا يلزمه ذلك، إذ الشعر أكثره مدائح، و أيضا فانه لا يتمكن من صوغ معاني القرآن و الأخبار في المنظوم، كما يتمكن منه في المنثور.

6- حل الأبيات الشعرية[1]:

ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول منها وهو ادناها مرتبه:

أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر، فينثره بلفظه، من غير زيادة، فهذا عيب فاحش، و مثاله كمن أخذ عقدا، و قد أتقن نظمه، و أحسن تأليفه، فأوهاه و بدده، و كأن يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا إلى

[1] المصدر السابق، ص 103.

صورة أخرى مثلها و أحسن منه. و أيضا فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كأن صاحبه مشهور السرقة، فيقال: هذا شعر فلان بعينه، لكون ألفاظه باقية، لم يتغير منها شيء.

و قد سلك هذا المسلك بعض العراقيين، فجاء مستهجنا، و لا مستحسنا، كقوله في بعض أبيات الحماسة:

وألد ذي حنق علي كأنما تغلي عداوة صدره في مرجل

أرجيته عني فأبصر قصده و كويته فوق النواظر من عل

فقال في نثر هذين البيتين:(فكم لقي ألد ذا حنق كانه ينظر إلى الكواكب من عل، و تغلي عداوة صدره في مرجل، فكواه فوق ناظريه و أكبه لفمه ويديه) فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن و طلاوة النظم لا غير.

و من هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه، و هو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئا لا يمكن تغيير لفظه، فحينئذ يعذر ناثره، إذا اتى بذلك اللفظ، و مثاله قول الشاعر في أول الحماسة:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا.

و قد نثرت ذلك، فقلت:(لست ممن تستبيح إبلي بنو اللقيطة، و لا الذي إذا هم بأمر كانت الآمال إليه وسيطة، ولكني أحمل الهمل، و أقرب الأمل، و أقول: سبق السيف العذل).

– و أما القسم الثاني و هو وسط بين الأول و الثالث في المرتبة:

ما هو أن ينثر المعنى المنظوم، ببعض ألفاظه، و يعزم على البعض بألفاظ أخرى، و هناك تظهر الصنعة في المماثلة و المشابهة، و مؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة، و أنه إذا أخذ لفظ لشاعر مجيد، فقد نقحه و صححه، فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة و حصاة،

و الطريق المسلوك إلى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من أبيات الشعرية، هو أحسن ما فيه ثم تماثله. فقال ابن الأثير من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له:

حذاء تملأ كل أذن حكمة و بلاغة و تدر كل وريد

فقوله:(تملأ كل أذن حكمة) من الكلام الحسن، و هو أحسن ما في البيت، فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة و البلاغة، فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله، و هذا عسر جدا، لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن و الجودة.

و أما نثر الشعر بغير لفظه، ذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه، و لا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته.

-و أما القسم الثالث و هو أعلى من القسمين الأولين:

فهو أن يؤخذ المعنى، فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه، و ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته، و يعلم مقدار تصرفه في صناعته، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية، و إلا أحسن التصرف، و أتقن التأليف، ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول.

و من هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي :

إن القتيل مضرجا بدموعه مثل القتيل مضرجا بدمائه

فنثر ابن الأثير هذا المعنى فقال:(القتيل بسيف العيون، كالقتيل بسيف المنون، غير أن ذلك لا يجرد من غمده، و لا يقاد صاحبه بعمده) فزاد ابن الأثير على المعنى الذي تضمنه البيت، و غير اللفظ، و من ذلك وجه آخر، و هو(دمع المحب و دم القتيل متفقان في التشبيه و التمثيل، و لا تجد بينهما بونا، إلا أنهما يختلفان لونا) و هذا أحسن من الأول.

خاتمة و نتائج البحث

خاتمة و نتائج البحث

لقد كانت هذه الدراسة محاولة للإطلاع على أهم القضايا النقدية و البلاغية في كتاب المثل السائر، و اكتشاف منهج ابن الأثير في التعامل مع هذه القضايا، فقد توصلت الدراسة إلى أن هذه الأفكار التي ناضل من أجلها ابن الأثير و حقق بواسطتها معايير لقياس درجات الإبداع الأدبي و رسم لشخصيته الناقدة منهجا واضحا جليل القيمة، اختلف بفضله عمن سبقه من النقاد في هذا الباب و أعطى من خلاله روح الناقد الفذ الذي لا تستهويه الشهرة و لا الكثرة التي ألفها الكثير من الناس، و إنما يجعل نصب عينيه النص ذاته، ليبحث فيه عن وجوه الجدة و الإبداع الأدبي. بهذا اتخذ ابن الأثير حسه النقدي و وعيه الفكري طريقا لفهم النص وتأويله و إدراك قيمته الفنية و عناصره الجمالية، و محاولا تحديث الكثير من المسلمات الفكرية و الثقافية لأنه على يقين بأن مجال الأدب و طبيعته يحتاج إلى تطور و رقي، و يتنافى مع كل جمود و تقليد و أنه يسعى إلى الخروج و الإنزياح مما يتناسب مع خصائصه العلمية و هذا ما يؤدي إلى عدم الإستقرار و من ثم التجديد و الإبتكار حسب الأطر الفكرية و الثقافية لكل زمن.

و في الأخير تم التوصل إلى بعض النتائج أهمها:

– حاول ابن الأثير وضع بصمات دقيقة و علمية في منهج الدرس النقدي الناضج و الواعي من خلال رؤيته العلمية الناقدة قد كسب الكثير من نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.

–حاول المساهمة في كثير من القضايا التي تناولها كتاب عصره، أو ما سبقها، و بسط رأيه النقدي و رؤيته العلمية.

– نظر إلى التميز و الإنفراد في مجال الإبداع النقدي أن يكون صاحبه ذو ثقافة و إلمام بعلوم النقد و البلاغة، حتى يستطيع الحكم على النقد و تمييز جيده من رديئة.

– جعل ضياء الدين عمود الشعر منهجا للتقويم و الحكم على استقامة نظرته النقدية التي ترى أن التميز و الإبداع في النص يتطلب ملائمة المعاني للمباني من جهة، و من جهة أخرى لأغراض الشاعر أو الكاتب من خلال النص.

– ركز على أن المفاضلة تكون من النص ذاته، لا خارجه أي تكون في لغته و مكوناته التي تجعل منه نصا أدبيا و إبداعيا، و لهذا فإن الإبداع عند ضياء الدين لا يجد به الزمن. و لذلك أعجب بكلام المحدثين في عصره كأبي تمام و البحتري.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

المصادر:

1. **القرآن الكريم.**
2. **الصحاح، الجوهري،(22/ 36).**

3. ابن الأثير: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ج ت/ محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبه العصرية– بيروت لبنان.
4. ابن رشيق القيرواني، العمده في محاسن الشعر وادابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت،ط5، 1981.
5. ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلميه– بيروت.
6. ابن قتيبه عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء.
7. ابن منظور، لسان العرب.
8. احسان عباس، تاريخ النقد الادبي، ق2ه الى ق8، دار الثقافه، بيروت، لبنان، ينظر المقدمه
9. الأزهري، تهذيب اللغه، ج3.
10. الآمدي الحسن ابن البشير، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري، تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعارف، القاهرة ط4.
11. بدوي طبانه، معجم البلاغه العربيه، دار العلوم للطباعه والنشر، الرياض ، 1982م.
12. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف.
13. الجرجاني القاضي: الوساطة بين المتنبي وخصومه،تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم علي محمد البيجاوي، المكتبه العصريه ، ط1 ، بيروت ، 2006.
14. ديوان ابي تمام، من قصيده له في رثاء القاسم بن طوق، عن المثل السائرج2.
15. السعدي مصطفى: المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية، منشأة المعارف الإسكندرية
16. ضيف احمد، مقدمه لدراسة بلاغه العرب، مطبعه القاهرة، ط1، 1921.
17. العشماوي محمد زكي، قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
18. العلوي بن طباطبا: عيار الشعر–تحقيق: عباس عبد الساتر، م. نعيم زرزور، ط2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2005 فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر،(ج2).
19. القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه.
20. مطلوب أحمد: تيسير البلاغة، مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق.
21. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين و النقاد والبلاغيين،احمد السيد الصاوي.
22. مفتاح العلوم، السكاكي.
23. محمد مصطفى صوفيه، المباحث البيانية بين ابن الاثير والعلوي.
24. ناصف مصطفى: دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، دط، دت.

25. المصري محمد عبد الغني، نظرية ابي عثمان ابن بحر الجاحظ في النقد الادبي، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط1،1987.

المراجع :.

26. سماح الوهيبي، بلاغه الشاهد النبوي والنثري في كتاب المثل السائر، رساله ماجستير/ جامعه القصيم، المملكة العربية السعوديه، 2017.

27. عبد الله صولة، الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصائصه الأسلوبية، جامعه منوبة، كليه الآداب، تونس،2001.

28.

29. يمينة رعاش: القضايا الإبداعية و النقدية في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لضياء الدين ابن الأثير، أطروحة دكتوراه، جامعة العقيد لخضر، باتنة، 2015.

المواقع الإلكترونية:

30. جابر عصفور، استراحة البيان، عن النقد والبلاغة تاريخ المشاهدة: 01-07-2020. https://www.albayan.ae/opinions/2002-05-16

ملخص البحـــث

ملخص باللغة العربية

جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإطلاع على اهم القضايا النقدية والبلاغية في كتاب المثل السائر لابن الأثير و التي اكتشفنا من خلالها تعامل ابن الأثير مع هذه القضايا، و التي اختلف فيها كثيرا عمن سبقه من النقاد، و كيف اعتنى بالجدة و الإبداع و الإتقان الأدبي مبتعدا عن الشهرة و الكثرة، لذلك نجده فاهما للنص و تأويله وإدراك قيمته الفنية وعناصره الجمالية.

و قد حاولت في بحثي هذا رصد بعض النتائج لعل أهمها:

أن ابن الأثير أسس لدراسات علمية دقيقة في منهج الدرس النقدي، كما انه ساهم في كثير من القضايا متناولا إياها في كتابه المثل السائر، كذلك فابن الأثير قد جعل عمود الشعر منهجا للتقويم و الحكم على استقامة نظرته النقدية، كما ركز على ان التميز و الإنفراد في مجال الإبداع النقدي يجب أن يكون صاحبه ذو ثقافة و إلمام بعلوم النقد و البلاغة حتى يستطيع الحكم على النمقد و تمييز جيده من رديئه.

Summary

This study came as an attempt to see the most important critical and rhetorical issues in the book of the parable of Ibn Al-Atheer and through which we discovered Ibn Al-Atheer dealt with these issues, in which he differed greatly from those who preceded him from critics, and how he took care of novelty, creativity and literary proficiency away from fame and abundance, so we find an understanding for the text ; its interpretation, and the realization of its artistic value and its aesthetic elements.

In my research, I tried to monitor some resaults, the most important of which are Ibn Al-Atheer established foundations for accurate scientific studies in the curriculum of critical study, as he contributed to many issues addressed by him in his book The Parable Proceeding. Likewise, Ibn Al-Atheer has made the poetry column an approach to straightening and judging the integrityof his

critical view, and he also emphasized that distinction and uniqueness in the fild of critical creativity, its owner must have a culture and familiarity with the science of criticism and rhetoric so that he can judge the criticismand distinguish it from its bad

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

01ك: إهداء و تشكر	
02: مقدمة.	أ
03: مدخل	08

الفصل الأول: ابن الأثير و كتابه المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر

المبحث الأول: التعريف بابن الأثير و كتابه.	
01: التعريف بابن الأثير.	15
02: التعريف بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر.	16
03: مكانة كتاب المثل السائر بين الكتب التراثية.	17
المبحث الثاني: موضوعات كتاب ابن الأثير و منهجه.	
01:موضوعات كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر.	21
02: منهج ابن الأثير.	22

الفصل الثاني: قضايا بلاغية و نقدية

المبحث الأول: قضايا بلاغية – نقدية	
01: الحقيقة و المجاز.	28
02: الفصاحة و البلاغة.	30
03: التجنيس.	33
04: الترصيع.	39
05: التشبيه.	41
06: الإستعارة.	44
07: الإلتفات.	48

08: الإيجاز و الإطناب.	**52**

المبحث الثاني: قضايا نقدية	
01: القدم و الحداثة.	**60**
02: اللفظ و المعنى.	**66**
03: الطبع و الصنعة.	**69**
04: الموازنة.	**72**
05: أركان الكتابة.	**73**
06: حل الأبيات الشعرية.	**74**

خـاتمة و نتائج البحث.	**79**
المصادر و المراجع.	**82**
ملخص البحث باللغة العربية.	**85**
ملخص البحث باللغة الأجنبية.	**86**
فهرس الموضوعات.	**89**